الموتى يصبحون كل يوم أصعب مراسًا

أحمد حسان

الموتى يصبحون كل يوم أصعب مراسًا

جمع وترجمة
أحمد حسان

هنـــداوي

الموتى يصبحون كل يوم أصعب مراسًا

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ويندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٢ ٣٨٧٢ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر أصل هذا الكتاب باللغة الإسبانية في تواريخ متعددة.
صدرت هذه الترجمة عام ٢٠١٩.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٥.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة للسيد الأستاذ أحمد حسان.

المحتويات

روكي الأصعب مراسًا	٧
دور المُهان	١١
البحر	٣١
الشهادات	٣٩
نصوص وقصائد شخصية جدًّا	٥١
منازل الجحيم الصغيرة	٦١
الحانة وأماكن أخرى	٦٧
الحُب يضربني أسوأ مِن الربيع	٨٥
كتاب بغيض بعضَ الشيء	٨٩
قصائد سرية	٩٣

روكي الأصعب مراسًا

تبدو العودة إلى روكي دالتون الآن بمثابة استحضارٍ لَموتى لا يهدءون في قبورهم. فحياته وشِعره وموته التراجيدي تنتمي جميعًا لزمنٍ يبدو نائيًا: ذروة الحرب الباردة بين مُعسكرَين مُتناحرين يقتسمان العالم، ذروة حركات التحرُّر الوطني والصراع الأيديولوجي والكفاح المسلح، والشعر والسياسة كوجهَين لتغيير العالم ضِمن نطاق آخِر موجات الحشود الجماهيرية الضخمة للقرن العشرين.

يبدو ذلك الزمن نائيًا ونحن في الأعماق السحيقة لسيطرة الرأسمالية المتوحِّشة على أقدار العالم، خصوصًا بعد هزيمة الحركات الجماهيرية الكبرى في مطالع القرن الحادي والعشرين.

لكن آمال البشر لا تموتُ بل تتجدَّد في قاع المِحَن. تتحقق، فيما يبدو، نبوءة دالتون أن «الموتى يصبحون كل يومٍ أصعب مراسًا». فما زالت أحلامُ العدل والحرية والحق في الحياة الكريمة تجتذب أعدادًا متزايدةً من البشر رغم تضاؤل سيطرتهم على مسار حياتهم. لن يريد الناس اليوم بالتأكيد العودة إلى أساليب أو مفاهيم ذلك العصر بعد أن تجاوزناه، لكنَّ وجدانَنا يستعيد المشاعر والخلجات التي ينقلها شِعرُه وتمنح الحياة ثراءً وازدهارًا استثنائِيَّين.

وُلد روكي دالتون في العاصمة سان سلفادور عام ١٩٣٥م لأبٍ ميسور ينحدِر من سلالة أشقياء الغرب الأمريكي. هجر أُمَّه ولم يعترِف ببنوَّته حتى بلغ السابعة عشرة، رغم أنه ظلَّ يدفع مصاريف دراسته لرغبته في أن يتلقَّى الصبي تعليمًا كاثوليكيًّا. وبعد المدرسة اليسوعية في سان سلفادور، أرسله إلى سانتياجو دي تشيلي ليدرس في الجامعة الكاثوليكية. درس الفتى القانون والأنثروبولوجيا في تشيلي والمكسيك وعقد صداقاتٍ مع

اليساريين واندفع يافعًا للانضمام إلى الحزب الشيوعي للسلفادور، عام ١٩٥٧م، ليُقاوم قمع حكمٍ عسكري يُكرِّس ملكية البلد بأسره لبضع عائلاتٍ محلية وبضع شركاتٍ أمريكية. سُجن مراتٍ عديدة ونُفي وكان بين من أنشئوا الجيش الثوري للشعب ERP لخوض غمار الكفاح المُسلَّح. بعد أن أقام في كوبا وجاب المنافي عاد إلى بلدِه سرًّا ليُقاتل أواخر عام ١٩٧٤م لكنه لقي مصرعَه ولم يُكمل الأربعين في العاشر من مايو ١٩٧٥م على يد زملاء له في جبهة FMLN اتَّهموه، للتعمية، بالعمالة لكلٍّ مِن المخابرات المركزية الأمريكية وكوبا في نفس الوقت. واستغرق الأمر نحو عقدَين لينتزِع ابنه اعتراف المسئولين عن قتلِه بالحقيقة عام ١٩٩٣م. اعترف أحد أعضاء المحكمة الثورية التي أدانته، لابنه، أن ذلك كان فعلًا من أفعال عدم النُّضج الشخصي، والعاطفي، والأيديولوجي. وأقرَّ بأن دالتون كان ضحيةً للجهل، والتآمُر، والدوجمائية.

هكذا كانت السياسة عنصرًا حاسمًا وباترًا في حياته. كانت الخيط الذي يربط حياته وشِعره، وكذلك الجهل والدوجمائية اللذان يضعان نهاية للاثنَين. وقد شدَّد هو ذاته على ارتباط حياته بالثورة والشعر في إهداء ديوانه «**الحانة وأماكن أخرى**»: «عزيزي خورخي: لقد وصلتُ إلى الثورة عن طريق الشعر. سيكون بإمكانك أن تصِل (إذا شئت، إذا أحسستَ بالحاجة لذلك) إلى الشعر عن طريق الثورة، ولك بذلك ميزة. لكن تذكَّر، أنك لو كنتَ قد وجدتَ ذات مرة دافعًا خاصًّا للابتهاج بصُحبتي في النضال، فبعض الفضل في ذلك يعود أيضًا إلى الشعر.» شكَّلت السياسة عصب رؤيته للعالم، لكنَّ ذلك لم يعنِ تبنِّيه للصيغة الرسمية الضيِّقة للإبداع التي سُميت بالواقعية الاشتراكية، بل جمع بين معرفةٍ عميقة بتراث الشعر المكتوب بالإسبانية وبين إنجازات الشعر المُضاد والسوريالية. كان يرى أن الثورة قصيدة حُب، والشاعر سلوك أخلاقي. كل إبداع ثورة، وكل ثورة فعلُ إبداع يسعى إلى الرقي بالحياة، والتكريس السياسي هو ببساطة تكريسٌ للحياة.

الثورة هي حقًّا أول ما يتبادر إلى الذهن عند ذِكر اسمه، لكنها لا تُلخِّص، وحدَها، حشد التداعِيات المُترابطة التي يستحضرها هذا الاسم من مواهب وملَكات. فالسياسي المؤمِن إلى حدِّ حمل السلاح هو شاعر وكاتب مُتدفِّق الموهبة مُتعدِّد الوجوه، يُعَد أحد أهم شعراء أمريكا الوسطى، (فاز بجائزة أمريكا الوسطى للشعر من جامعة السلفادور أعوام ١٩٥٦م، و١٩٥٨م، و١٩٥٩م، وبجائزة دار الأمريكتين بهافانا عن ديوان «**الحانة وأماكن أخرى**» عام ١٩٦٩م)، وإنسان جيَّاش بالعاطفة والمرح، وصديقٌ سخي ودود

مُندفع للقاء الحياة التي تقلَّبت به كما لم تفعل بأحدٍ من مُعاصريه إلى حدِّ أن يُصبح مثالًا للقُبح.

كان يضحك حين يحكي أنه الشاعر الأمريكي اللاتيني الوحيد الذي أفلت من فصيلة إعدام لأن زلزالًا حطَّم جدار السجن الذي كان مُحتجزًا فيه، وسجَّل ذلك في روايته **الشاعر البائس الذي كنتُه** التي نُشرت بعد وفاته. قبلها كان قالب طوبٍ قد حطَّم أنفَه في مراهقته نتيجة خلافٍ على احتساب ضربة جزاءٍ في مباراة كرة قدم. وأصابت طوبةٌ عينَه، وأصابت زجاجة رأسَه من زوجٍ يشُكُّ. ونال علقةً من عُصبة رعاع في براج، وتعثَّر بالسلاح ليُجهِز على ما تبقَّى من وجهه في كوبا، قبل أن يعود إلى بلاده ليُحارب لإيمانه بنظرية البؤرة الثورية المُسلحة التي انخرط فيها مع ريجي دوبريه وطبَّقها التشي جيفارا في بوليفيا.

وفي هذه الأثناء كان قد صنع مئات العلاقات الحميمية مع أصدقاء وصديقات في أركان المعمورة، ونشر دستةً من الدواوين والأعمال النثرية والدراسات، وشارك في أعمال دار الأمريكتَين في هافانا وعمل مُحررًا لمجلة **مشكلات السِّلم والاشتراكية** في براج. وبعد عودته الأخيرة إلى بلاده أصدر **القصائد السرية** تحت أسماءٍ مُستعارة لخمسة شعراء بينهم امرأة، ليُراجِع من خلالها آراءه وتحيُّزاته الذكورية التي كانت رائجةً بين مُناضلي ذلك الزمن. فقد كان حسُّه بالحياة والنضال يُتيح له السخرية من نفسه والحفر تحت السطح ليكشِف أصعب مناطق الخبرة الإنسانية، ليلمِسها بعُمق، ويستكشفها، ويُبرزها بطريقةٍ مفيدة وجميلة. كان ينتمي إلى جيلٍ من شعراء أمريكا الوسطى — بينهم الجواتيماليَّان أوتو-رينيه كاستييو وأرجيلس مورالس والنيكاراجويَّان ريكاردو مورالس وليونيل روجاما، والسلفادوري مانليو أرجيتا — يجمع عملهم بين شاعرية تنبُّؤية وسياسة تنبُّؤية.

وتجمع النصوص الحالية بين قصائد قليلة مأخوذة من مختاراتٍ ثنائية اللغة بنفس العنوان أصدرَتْها دار فرنسوا ماسبيرو في باريس فَور موت الشاعر عام ١٩٧٥م:

Les morts sont de jour en jour plus indociles. Traduit de l’espagnol par Franchita Gonzalez Battle. François Maspero, Paris, 1975.

وبين أخرى مأخوذة من مختارات وافية بعنوان «**أشعار مختارة**» أصدرتها عام ١٩٨٩م في هافانا دار الفن والأدب:

Poesía escogida, Roque Dalton. Editorial arte y literatura. Ciudad de la Havana, 1989.

وهذه الطبعة أعدَّها دالتون ذاته عام ١٩٧٣م، وراجع فيها نصوص وتبويب كل دواوينه السابقة ونتيجةً لذلك ربما تكون بعض القصائد قد تزحزحت عن أماكنها في الطبعات السابقة. واختتم تقديمَه لها بأن قال: «ما تريد في العمق أن تقوله هذه القصائد عند طبعِها في مجموعٍ هو: هكذا رأى الشاعرُ في طريقِه الحب، والنضال، وحماقة البورجوازية، الميثولوجيا الرقيقة لآبائه، شكوكه الخاصة، السجون، قُرب الموت، الرهافات المفهومية للنضال الأيديولوجي، الحوار، البلد المُستلَب، المتعة، الدموع، الأمل الحديدي. رؤية متعددة، متنوعة، لكنها دائمًا منحازة، لن تكتسِب معناها الأصيل إلَّا في قلب النضال العمَلي من أجل تحرير شعوبنا.

هذه هي الدراما البديعة لكلِّ الشعراء الثوريين لأمريكا اللاتينية. هذه هي الدراما البديعة للشعر الأمريكي اللاتيني الحقيقي لأيامنا.»

مع الاستعانة بمجموعة ثالثة ثُنائية اللغة بعنوان:

Poemas clandestinos/Clandestine Poems, Roque Dalton; a translation Project of the Roque Dalton Brigade, translation by Jack Hirschman, Edited by Barbara Paschke and Eric Weaver, Introduction by Margaret Randall, Solidarity Publications.

Copyright 1986 by Solidarity Educational Publications, Inc. P.O. Box 40874. San Francisco, CA 94140.

دور المُهان

١٩٦١–١٩٦٥م
مكسيكو – هافانا – سان سلفادور – براج

(طبعة أولى مُجتزأة: دار الأمريكتَين، هافانا، ١٩٦٢م.)

إهداءات

إلى أُمي، صانعة التضحية، إلى وينال دالتون، الأسطورة الحميمة. إلى زوجتي، شريكة القلب. إلى خينوبيبا، الرقة الميتة.

إليكِ، يا مَن لن أحتمل نظرتك.

إلى ميجيل مارمول، الذي أعدم بالرصاص ويتمتَّع بصحةٍ جيدة.

إلى الدكتور إلياس ناندينو.

إلى رجل البوليس الذي ألقى إليَّ خمسةً وعشرين سنتافو من خلال القضبان لأشتريَ لنفسي سجائر ضد اليأس.

إلى توماس جييرمو لوبث، زميل الجامعة الذي استجوَبَني بكراهيةٍ في الليالي الباردة لاحتجازي في مقرِّ البوليس القومي.

إلى الجنرال مانويل أليمان مانثانارس: من أجل التوصُّل إلى عقوبات قاسية ضدي، قام بأفضل تقريظٍ لحياتي، مبالَغ فيه جدًّا، في الحقيقة.

لقد لكمتُموني صافعين
باليد القاسية وجهي

(العاري والطاهر
مثل زهرة يُشرِق فيها
الربيع.)

لقد سجنتموني أكثر،
بعيونكم الحانقة،
وقلبي يموتُ من البرد،
تحت شلال الكراهية.

لقد احتقرتُم حُبِّي،
سخِرتُم من هديته الصغيرة الحيية،
دون أن توَدُّوا فهمَ متاهاتِ
رقتي.

والآن حان دوري؛
دورُ المُهان الصامتِ أعوامًا
رغم الصرخات.

فاصمتوا.
اصمتوا،
وأنصتوا.

(١) الندوب

القرار

(خوارث إي بالديراس، ٢١:٣٠ مساءً)

وحتى لو لم يكن القلب ذلك الحيوان المُتوثب الذي كنَّا نتوقَّعه،
فإنه يكفي كي نشربَ بشغفٍ الحبَّ والسكاكين التي تحوطنا.

كلُّ المدينة الهائلة تجد نفسها سجينةً في هذه الناصية،
التي تُشبِه عينًا ضخمة تنفتح
إلى حيث تطلبُ اللانهاية هدنةً من عطَش البشر،
للذهاب إلى مدًى أبعد.

لقد أنقذتُ شارتي اللامعة:
فأنا أُنكر النشوة وأُمجِّد الهدوء المُرَّ؛
أعني أنني بابتسامةٍ صغيرة، وبالبذلة القديمة النظيفة، سأقبلُ
كلَّ المَيتات التي تخصُّني.
حتى مَيْتات تلك النساء ذوات العيون المُتدفِّقة اللواتي تركتُهنَّ
غارقاتٍ في الصمت،
تتحسَّسن بأيديهنَّ المالِحة من الدموع، روحهنَّ التي
سحقتُها بأظلافي الجميلة.

لقد تقرَّر كلُّ شيءٍ. آه يا للعِنادِ
الذي تسقط به في الحياة حِكايتي المُسرعة،
بحيث لا تعود ثمَّة ضرورةٌ للفتور الأخوي،
فصل الرقَّةِ في هذا العام الليلي، ذي الاثنتي عشرة ساعة.
ورغم ذلك — يا للرغبات الخائنة! — فصوبَ تلك المحاولات
الحلوة تنفلتُ ابتسامتي مِثل حمامةٍ خضراء ناضرة.
ومِن جديدٍ يُمكنكم أن تُسمُّوني الأخَ البائسَ الرفيق المُمزق البائس،
الشاكر ككلبٍ مِن أجل خُبز كل ليلة.

آه مِن الموت: اقذفوا — ماذا يُهم — سنانيركم العميقة.
اقذفوا حتى الحياة، إذا شئتُم، مِثل انهيارٍ جليدي تالٍ
فالقبول يَعني الوجود وقد قبلتُ كلَّ شيء،
كلَّ شيء.
حتى ذلك الذي لا تَوَدُّون نُطقه خوفًا من التواطؤ
القاتل دومًا بفتوره العنيد.

وطني بعيد

بعيد عن العالم، بعيد
عن النظام الطبيعي للكلمات؛ بعيد.
على مبعدة اثني عشر ألف كيلومتر،
من حيث يكون الحديد بيتًا للإنسان وينمو،
مثل زهرة نادرة تعشق السُّحب،

بعيد عن الأقحوان، عن جناح البطريق الناعم،
عن البحار المُظلمة التي تُلعَن من البرد؛
بعيد، بعيد جدًّا عن حيث يكونُ منتصف الليل مسكونًا،
وتُملي علينا الآلةُ صوتَها الآمِر،

بعيد أيضًا عن حيث تخلَّف الأمل،
عن حيثُ يُولَد النحيب ميتًا أو ينتحِر،
قبل أن تخنقه النفايات،

بعيدٌ عن حيث تكرَهُ الطيور،
عن حيث تُحدِّثك عن الحُب ذئاب نتِنة وتدعوك
إلى فراشٍ من العاج؛

بعيدٌ عن حيثُ تتآمَر الحدائق ضد جمالها،
بالسكاكين التي يمنحها لها الدخان،

بعيد،
بعيد،
بعيد عن حيث يكون الهواء زجاجةً رمادية ضخمة؛

عن حيث يقدِّمُ الجميع فقاعات صابون بشِعة،
ويشرب ملائكةٌ فاسقون، مع أطفالٍ وقِحين،
سُمَّ الرِّدَّة ضدَّ كل شروقٍ ممكن.

بعيدٌ عن غمغمة الأقنعة؛
بعيدٌ عن حيث لا تُعمي العاريات بضوء جلدهن.

بعيدٌ عن راحة القيء.

بعيدٌ عن حسِّية البانتوميم،
عن التيار الدفين لِلَعَناته التي بلا قرار.

بعيد، بعيد بصورةٍ فظيعة،
عن حيث تجوب الشوارع حيواناتٌ خرافية من الحرير،
عن حيث ترتجف الغابات مهزومةً وتهرُب.
عن حيث يكون لكلِّ مفتاحٍ باب ينتظِره مؤرَّقًا؛

عن حيثُ تنبتُ عمياءَ موسيقى الذهب،
وتنبح طليقةً قطعانُ الكوبالت.

بعيدٌ، بعيد بصورة قاطعة،
عن حيث يموتُ الشهيد رجمًا بالسخرية،
ويكون القديس مهرجًا يظلُّ صامتًا.

التحدُّث بوضوح

مضى آخرُ النائحين
باحثًا عن عزاء المُهرجين.

(عاريًا يُمكنني أن أبقى في هذا الميدان الكبير،
الذي تُضيئُه توهُّجات السكون،
ما لم ترني عينٌ مُتطفلة.

آه هذا الهجران قاتل؛
إذ يبعث بردَه مِن ألسنة اللهب.)

أتمنَّى أن يأتي أحدٌ من جديد ليسمعني،
ويبكي معي حتى النهاية.

فربما جرُؤتُ عندئذٍ على جعْل الحقيقة أقلَّ مرارةً.

أرَق

السماء بُحيرة كبيرة، البحيرة
سماءٌ صغيرة.

(حتى الأحجار يُسمَع صراخُها في مُستشفى المجانين هذا،
والصنوبراتُ كأصابع ضخمةٍ خارجة من القبر،
تتلقَّى من القمر ظلالًا صلبةً؛
ظلالًا من الدخان الأسود والجرانيت

وددتُ لو أعود إلى السلفادور،
لكنني لا أدري، هل هو بلدٌ أحلم به؟
مجرد أمنية،
وليدة اللهب الأخضر لمرَضي.)

الأرَقُ شبكة حمراء أو بنفسجية،
بئرٌ بلا قاع،
لا يُضيئُها حتى الفجر ذاته.
صلْبٌ مُتأجِّج،
لا يكفُّ أبدًا عن الاحتراق.

هل كان ذلك جرسًا نائيًا،
أم القلب؟

من جديدٍ أصبحت الساعة
الرابعة صباحًا.

(٢) مناخ الوطن

أرى

أعتقد أنهم قد خدعونا بما يكفي.
لديَّ الآن مفتاح اللُّغز.
أعطاني إيَّاه الألَم بين ضحكاتِ ثِملٍ،
بين بصقات سجَّانٍ ونظراتِ كلبٍ
هائج بلا رحمة.

كذلك أعرفُ ما يلي: سيكون من الصعب تعويد البشر
على ذلك العُري الذي يسقُط فيه مَن يملك الضوء.
سيكون من الصعب إقناعُهم بأن كلَّ ضحكةٍ حتى اليوم كانت ضد نفسِها،
بأن الأيدي الممدودة نحوَهم كانت كلُّها بأظافر قاسية.

(الجوُّ بارد بعض الشيء، لكن هذا أفضل؛
فقد انطفأتِ النيرانُ القاتلة،
تَورُّدُ الجلدِ في ذروة العربدة،
الأسطورة المحمومة التي تُولِّدها الخمر المُستقرَّة في الدماء،
أعشاش العنكبوت العنيدة في اللسان.)

سأنزع على الفور بعض الأستار الأخيرة.
أما الجروح
فسأتولَّاها أنا.

ماريا

كانت تُسمَّى ماريا وكانت صديقةً للرب.
لكنَّني أتذكَّرها أفضل بنهدَيها،
وهما يجرحان خدِّي في الشروق
الفاتر
لأيَّام الأحد.

ماريًّا تيكون

أيام الأسطورة حين كنتِ تُحبينني دون أسئلة،
جعلتِ المدينة تكتسِب هيئةَ لُعبة.
وحين أتركِكِ في الليل كنتُ أعود إلى منزلي،
مثلما في صُوَر ميلاد المسيح، مرِحًا عبر شوارع مِن نشارة الخشب.

في المرآة المُرتجفة والكئيبة للبرك،
كنتُ أنظر إلى وجهي بجوار القمر،
وأبحث عن قُبلاتكِ، حتى لا تُضيءَ
أحلامَ الطيور الضائعة في وسادتي.
كان عسسٌ مِن صلصالٍ ودِيَكة من صفيحٍ
يسخرون منِّي في صمتٍ غامِزين، لا أدرى كيف، بعيونهم الساكنة.
وحتى النائمون، كانوا عند مروري يتناقَلون الأقاويل بحسَدٍ في غُرَفهم،
ويقولون إنكِ خطيبة يسوع الطفل.

بطحلبٍ مُنتزَع من حيث تُولَد منابع كولومبوس،
كانت حدائق الحلم تنتظرني بنضارتها الخضراء.
لكن حرارة أطراف أصابعكِ كانت طعنةً، بلغ من عُمقها
أنَّ بائع شطائر الذُّرة[1] كان عند الشروق يغسلُ في حدَقَتيَّ
عينَه الضخمة العارية مثلما في وعاءَين من دمٍ.

بين أشجار مكسوة بورق زينةٍ من قلب الأزرق النيليِّ
كنتُ أقضي النهار الجديد مُنصِتًا إلى فرقة موسيقية من رؤساء الملائكة
المُسنِّين،

[1] بائع شطائر الذرة: ترجمة تقريبية لكلمة nixtamalero وتعني في المكسيك مَن يبيع ذرة نصف مَغلية لصنع الشطائر. وينهض الصانع عادةً عند الفجر ليغسل الذرة ويطحنها ليبيعها. ويُسمَّى باسم الصانع أول نجمٍ يظهر في الصباح في الوقت الذي ينهض فيه. (م)

يُشكِّلون بشعورهم القطنية أنهارًا جديدة في النسيم.
بعدها كنتُ أُقابلك مع الغسق
— بشجرته السامِقة من النار المُشتعلة حقًّا —
وألعقُ في يديكِ جلدَ حلوى اللوز،

وحولنا كانت الدُّمى ذات الخدود الزهرية
تشرب بيرتَها من اللقاح والدخان.

أواه، لكن بعد أشهُرٍ قليلة خَطَر لكِ أن تكبري وابتعدتِ عنِّي
بإيماءةٍ فظيعةٍ لشخصٍ بالِغ.
من حينِها استعادت المدينة بِدَورها حجمها المُعتاد.
وفي شوارعها الأسفلتية السوداء يضرب المواطنون بأيديهم
رُوحي، رُوح الصبيِّ الحزين الذي ما زال بحاجةٍ إلى اللعب.

أُحبُّك

كلَّ الأيام، تحت كلِّ طقس،
في كلِّ الأماكن أُحبُّك.

سرعان ما يبزغ الصباح في النوافذ،
وأستعيد نفسي وئيدًا من الفتور.
بماءٍ بارد أداوي جراح الخمر،
وأُحبك.

ما مِن خلافٍ مع أي شيءٍ ممَّا يحوطني،
لكنَّني ضدَّ كلِّ ما يَحوطني أُحبك.
أنغمِس في الحياة،
أتحسَّس كلماتٍ جديدةً، إيماءاتٍ غريبةً جديدة.
في شمس الشارع أُشهِرُ حُدودي المُهدَّمة.

أُحبك.
أعود إلى الوحدة وأُحبك.
الباقي كلُّه بلا طائل.
أُحبك.

عارية

أُحبُّ عُريَكِ
لأنَّ مسامكِ تَشرَبُني وأنتِ عارية،
كما يفعل الماء حين أغوصُ بين جدرانه.

عُريكِ يَهدمُ بحرارتِه الحدود،
يفتحُ كلَّ أبوابي حتى أحدِسَكِ،
يأخُذني مِن يدي مثل طفلٍ تائه
يريحُ فيكِ عُمرَه وأسئلته.

جلدُكِ العذبُ والمالح الذي أتنفَّسُه وأرشفه
يُصبحُ كوني، الإيمان الذي يُغذِّيني؛
المِصباح العطري الذي أرفعه في عمايَ
حين تعوي فيَّ الرغبات بجوار الظلال.

حين تتعرَّين لي بعينَين مُغمضتَين
تسَعُكِ كأسٌ قريبة مِن لساني،
تسَعُكِ يداي كالخُبز الضروري،
يسَعُك ما تحت جسدي الأكثر اكتمالًا من ظلِّه.

يومَ تموتين سأدفنُكِ عاريةً؛
حتى يكون اقتسامُكِ في الأرض عادلًا،
حتى يُمكنني أن أُقبِّل جِلدَكِ في الطرُق،
وأضفر في كلِّ نهرٍ شَعركِ المُشعَّث.

يوم تموتين سأدفنكِ عاريةً،
مثلما يومَ وُلدتِ مِن جديدٍ بين ساقيَّ.

(٣) من ثقب المفتاح

الهزيع الأخير من الليل

إذا عرفتِ أنَّني مِتُّ لا تنطقي باسمي؛
حتى لا يتوقَّف الموتُ والراحة.

صوتُكِ، جرس الحواس الخمس،
سيكون الفنار الخافِت الذي تُفتِّش عنه ظُلمتي.

إذا عرفتِ أنني متُّ أطلقي مقاطع غريبة.
انطقي زهرةً، نحلةً، دمعةً، خبزًا، إعصارًا.

لا تدَعي شفتَيكِ تَعثرانِ على حروفِ الأحد عشر.[٢]
يُغالبني النوم، لقد أحببتُ، وكسبتُ الصمت.

لا تنطقي باسمي إذا عرفتِ أنني متُّ:
حتى لا يجيء بي صوتكِ من التُّربة الداكنة.
لا تنطقي باسمي، لا تنطقي باسمي،
إذا عرفتِ أنني متُّ لا تنطقي باسمي.

عجوز مع طفل

خائفةً ومحنيَّةً.
باحثةً عن آخِر أسرار الحياة
عند مستوى الخطوات.

[٢] عدد حروف اسمِه بالإسبانية أحد عشر حرفًا، لكنه عشرة بالعربية.

بالتَّعب اللانهائي لعدم استطاعة محاولة
حتى بذل المجهود.
مُنطفئة بكامِلها بتلاعُبات الضوء.
ليس أمامها سوى نسيان الحاضر برمَّته.
تزداد ثقلًا كل يومٍ مُستخدمةً
حجَّةَ الارتجاف.

وهو ببذلة البحَّار دون شائبةٍ لا تزالُ،
مشغولًا بصورةٍ هائلة بكل الطيور التي تمرُّ.

ما قاله لي مَجنون

حكيتَ لي أنَّ أباك كان بحرًا صغيرًا.
أنَّ الملائكة مجموعة من الحمقى،
لكنهم في الليالي يُحدِثون الكثيرَ من الضرر بأظافرَ مِن ذيلِ الشهب.

حكيتَ لي أن المطر في بيتِك يُغرق،
وأن شقيقاتك تُخصين في غضبٍ أشجارَ اللوز.
حكيتَ لي أن الظامِئين هم الأمَل الكبير.
أن الصفير في الحدائق هو اعترافٌ بالعجز
عن استعادة خمْر الكلمات التي يقولُها المرء طفلًا.

حكيت لي أن المرأة السمينة مجهولة بالنسبة لك؛
ولذا تكره إيماءات ظهرِها.

حكيتَ لي أن الأفضل عدم الخروج إلى الشارع
لأنَّ مِن البلادة إيقاع ضحايا عند عمرٍ مُعين.

حكيتَ لي أنَّ ثمَّة شيئًا يُدعى ضوء،
من المُستحيل توضيحه بالأيدي.

حكيتَ لي أن الأشجار ليست الأعداء الأساسيين،
وأنه لا يجِب تصديق شيءٍ مما يقولونه على الجانب الآخر من القضبان.

الكلمات القبيحة

في حنجرة سكير ميت،
تبقى الكلمات التي احتقرَها الشعر.

أُنقذها أنا بأيدي شبَح.
أعني بأيدٍ ورِعة.
فكل ما هو ميِّت له الورع المصهور
لِخبرته الخاصة.

خلسةً أتركها لكُم:
سحناتها المُتَّسخة قبيحة تحت الْتماع المصابيح،
ولعابها يسيل فوق عُريها المشوَّه.
أسنانُها وجفونها مُنقبضة
في انتظار اللطمة.

أقولُ لكم أحبُّوها هي أيضًا. عاركوا الشعر
على صفاء حجره.
زوِّدوها بسيرةٍ لامعة.
نظِّفوا الحُمَّى من جبهتها،
وأحيطوها بانتعاشاتٍ هادئة؛
حتى تُشارك هي أيضًا في احتفالنا.

المسيح

اصلبوه، اصلبوه،
اصلبوه؛
لأنه في أنسبِ الأوقات

لم يَشنُق سادةَ الشرَه.
لأنه لم يطعن الرسول المُنتفخ.
لأنه وزَّع ماء التواضُع والحُب،
بدل الحمض النهائي
للتخريب.

كارل ماركس

بدءًا من عينَي الأسد تلتمِعان في عُمق لحيتك.
بدءًا من الرطوبة المُترِبة في المكتبات السيئة الإضاءة.
بدءًا من الذراعَين الحليبيَّتين لجيني دي وستفاليا.
بدءًا من زوابع البؤس في المنافي البطيئة والباردة.
بدءًا من نوبات الغضب في صالات التحرير الرينانية، تلك المليئة بالدخان.
بدءًا من الحُمَّى كعالَمٍ صغيرٍ من الضوء في ليالٍ بلا نهاية.
صحَّحتَ العمل الأعرج للرب.
أنت أيها المُذنب الكبير بالأمل.
أيها المسئول بين المسئولين
عن السعادة التي تواصِل سيرها.

الجار

له زوجة، أمْيَل إلى القبح.
له ابنان اقتلَعا عينَيه،
ويُطاردان القطط في الحي هذه الأيام.
يعمل، يقرأ كثيرًا، يُغني في الصباحات؛
يسأل عن صحَّة السيدات؛
صديق للخبز، وللخبَّاز؛
عادةً يشرب البيرة عند الظهيرة؛
يعرف كرة القدم جيدًا، يُحب البحر،

يودُّ لو امتلك سيارةً،
يحضر الحفلات الموسيقية، لدَيه كلب صغير،
عاش في باريس، كتب كتابا — أظنُّه
كان أشعارًا.
يشعر بالرضا عند رؤية الطيور،
يدفع حساباته عند نهاية الشهر،
ساعد في إصلاح برج جرْس الكنيسة ...

هو الآن سجين في السجن ...
فهو شيوعي أيضًا، كما يقولون ...

مات ماريانو الموسيقي

حيث انتظر البيانو لم يعُد ثمة طيور؛
مجرد ذكريات غائمة عن رجفةٍ بلا اسم.
الآن يسقط التراب تمامًا؛
فلا يُصادف في طريقه القوام الأبنوسي.

لم يعُد بابُ الحديقة يُفتح.
أحيانًا أُفكِّرُ ألَّا تُعاني كثيرًا،
كالأرامل،
الغُرَفُ التي نترُكها حين نموت.

على الأقلِّ حين يكون المرء قد غنَّى،
أو عزف فيها موسيقى عذبة،
كما فعل ماريانو ...

شاهِدُ قبر

ظهر يومًا كسائر الأيام،
كما يُفترَض.

في البداية اعتاد شُرب النبيذ برشفاتٍ مُتمهلة،
في آخر بارات ذلك الشاطئ الداكِن،
ناطقًا أسماء المخلوقات البحرية
بطريقةٍ تُثير الضحك،
ومنشدًا مواويل مُشوَّشة، لا يفهمها
أيٌّ مِن السكارى البائسين.

بعدها، بقِي هنا ببساطة،
مُتعرِّقًا وبالِغ الاحمرار تحت الشمس العنيدة.
تزوج عاهرةً داكنة — قديسة تعسة —
مُستهلًّا جيرةً طويلةً صامتة.
فيليبس أومانيون بعينَيه وذاكرته المُتلِئين بمَسقط رأسه أيرلندا.
مات أمس في الشارع، ويداه مُنقبضتان على صدرِه،
دون أن ينطق كلمةً.
دون أن يُنبِّهَ أحدًا،
كمن يدفع للحياة ثمنًا بخسًا.

أثناء دفنِه انقطعت الحبال،
وسقط التابوت فجأةً فقفز غطاء الصنوبر الخشِن.

ألقَت رفيقتُه — بشفتَين دون طلاء —
أول حفنةٍ من التربة في وجههِ مُباشرةً؛

من أجل تجفيفِ دموعك

كما يعود القاتل الخشِن إلى مكان الجريمة،
ليستوعِب البانوراما الأخيرة لقتيلِه.

كما يعود الربيع من حلقوم الشتاء،
وفي يده حياة زهرةٍ لم تكتمِل.

كما يعود كلبُ الأعمى بعد الضربة،
وعظامه مُنفتحة على ضوء كسرة.

كما يعود الليل بظلُماتِه الجديدة،
تاركًا النهار مكسورًا بحرابه الثلجية.

كما يعودُ أسوأُ ابنٍ ضالٍّ مِن الشوارع
إلى المائدة الهادئة والعبق العتيق.

جريحًا بأوسع الجِراح وأجدرها،
ظامئًا بأشدِّ عطشٍ وليد الرمال.
هكذا أعود إليكِ.

مَيِّتةٌ أخرى

كان شبابي برتقالة مُتدحرجة،
ذهبها الناضر تترصَّده الطيور،
تترصَّده رغباتكِ.
من الغرفة برائحة التراب الرطب،
المليئة بالظُّلمة والتُّحَف،
حيث يتسيَّد قطٌّ ضخم شرِس.
لكنكِ كنتِ عجوزًا عجوزًا،
يُخيفني جلدكِ،
وشفتكِ المُتدلِّية الملوَّنة بالبنفسجي.

ها أنتِ قد متِّ، أترَين؟
وأنا بدأ يَغزوني الشَّيب.

الوعود

ستكونين آخِر امرأةٍ في حياتي،
يا روز ماري بلانش كولومبين بَتَلات زهرةٍ قُطفت لتوِّها.

عيونُك العميقة تبلُغ حدَّ أن تَعمُر بالضوء
أعوامِيَ الباقيةَ لتتنبَّأ بيوم مَوتي.
(أفضلُ الوعودِ هي التي تُقال بحرارةٍ،
لتُنتَهك بعدَها بألَمٍ هائلٍ،
في ظلِّ كل أشكال الندم.)

ستكونين آخِر امرأةٍ في حياتي،
يا كريستينا الصغيرة ...

الأمثال

حيث يضع الأقحوانُ أقدامَه،
لن تنبُت الطعنة.

الهواء الذي تخفقه أجنِحة الملائكة،
سيكون سُمًّا للمُلازمين.
أثَر الغزال على ضِفة النهر،
سيُنزِفُ الدمَ من ركبةِ المُهرب.
الوردة العمياء لأبطال الرماية.

مادريجال

كانت أجملَ مِن مصنعٍ تشيكوسلوفاكي
حين يُفكر المرء فيها،
بعد تعذيبٍ لأربع ساعاتٍ،
في الغُرَف الأكثر ضوءًا وتهوية
لمُعسكر الحرس القومي.

ما قاله لي أناركيٌّ مُراهق

(هذا المشروع ليس أصيلًا. نقلَه إليَّ إ. ب، الأسقف في أوقات فراغه، الذي تلقَّاه بدوره مِن شفتَي الأناركيِّ المُراهق الذي أذكُره، ومِهنته رسَّام بورتريهات.)

لا تقتلوا القساوسة أيَّتها الشعوب التي تستيقظ وتنتبِه
لأضخم خدعةٍ اشتَمَّها أيُّ عصر.

على العكس، حفِّزوا تربِيَتهم؛
اعلفوهم واحدًا واحدًا بتدقيق دءوب.

هكذا يُمكنكم أن تمضوا بعدَها مُمتطين قساوسة سمانًا إلى العمل
— فالبنزين يَميل دومًا إلى الارتفاع —
أن تتركوهم مَربوطِين على باب البار،
أن تقولوا — يا للسَّلف الحقير الذي أنجبكم —
إن سلفَكم مُتوثِّب أكثرَ مِن الضالِّين الآخرين.
أيام الآحاد سنأخُذ الأطفال إلى سباقاتِ القساوسة
— لعبة التسلية الوحيدة المسموحة —
التي سيتألَّق فيها سُلالة الدمِ النقيِّ للأساقفة.

سيوجَد قساوسة للجذب والجر، وقساوسة للخبَب، وقساوسة للتناسُل،
وتكون لاصطبلاتهم رائحةُ القداسة.

القساوسة بلا فائدة، سيُحنَّطون،
ويباعون كحِلياتِ صالون:
ويمكن للرأس الحليق أن يُفيد كمطفأة سجائر.

ختام

الأمر الفظيع

دموعي، حتى دموعي
تصلَّبَت.

أنا مَن آمنتُ بكلِّ شيء.
بكلِّ شخص.

أنا مَن كنتُ أطلب فقط قليلًا من الرقة،
ممَّا لا يُكلف شئيًا،
سوى القلب.

الآن فات الوقت.
الآن لا تكفي الرقَّة.
فقد جرَّبتُ طعم البارود.

البحر

١٩٦٢م
هافانا

(الطبعة الأولى: مطبوعات La Tertulia, Coleccion Laura,
.La Habana, 1962)

إلي تاتي، وميري، ومارجاريتا، اللواتي تقاسمتُ معهنَّ موجة ...

I

ثمَّة صخور ضخمة في ظلمتِك العاصفة؛
صخور ضخمةٌ غَسَلَ ظِلُّك تواريخَها؛
فظلُّك يلتهِم حتى شمس النهار،
تُطقطِقُ في بردِك مُوَدِّعةً الهواء
الذي لا يجرؤ على اختراقك.

أيها البحرُ، حيثُ يستطيع اليائسون النوم،
تُهَدهِدُهم انفجاراتٌ لا مبالية.
يا أبجدِيَّة الدُّوار المشهد المُذاب الذي تُهاجمه الجدران.
ربيعُك النوارسُ وزَبَدُ الأسماك.

غضبك هَرَم أخضر،
ومناخُك بعثٌ لأشدِّ النيران استعارًا.
أفضل آثارك هو قوقع
يذرعُ الصحراء بخطواتِ طفلٍ.

(أحببتُ دومًا تلك القرى المُتباينة،
التي تبدو وقد سُرقت من يدَي البحر.
مُدن صغيرة تُجاورُ الرمل.
موانئ صاخبةٌ في سَكرة الملح.
ضِياع ترتجِف بين الضباب المليء بالمَرجان.
مدن ضخمة هائلة في مواجهة العواصف المُستذلَّة.
قرى صيادين عميان تحت فنارٍ زيتي.
متاجر مترصِّدة بسكينٍ طويلٍ بين مُستنقعات المانجروف.[1]

قالبارايسو مثل شلَّالٍ ضخم مُعلَّقٍ.
مانتابوناه موانئ الإكوادور التي ضَنَّتْ عليَّ بأوراق الشجر.
بوينابنتورا الفوَّاحة مثل فرجٍ صخمٍ وقذِر.
بنما بعيونها التي وخزَها الفِسق.
كارتاخينا جائعةً تنتظرُ القراصنة دومًا.
فيلمشتات الغارقة في ممالك البترول.
تنيريفي وكأس نبيذها الحلو.
برشلونة التي تتثاءب بين البنوك ورجال الدرك.
نابولي المُتورِّمة بجمال.
جنوا لنينجراد سوتشي لا جوايرا بوينوس آيريس.
مونتفيديو مثل أقحوانة.
بويرتو ليمون كورنثه.

[1] المانجروف: شجرة استوائية ريزومية تنبُت في المُستنقعات الموحِلة للشواطئ الاستوائية، أو على ضفاف المصبَّات. (م)

أكاخوتلا على شاطئ مُتمهِّل في وطني.
كلها تنظرُ إلى نفسِها في المرآة الثقيلة التي تحرثُ بها الدرافيل،
قاطعةً بسيفٍ خاطفٍ
سنابلَ الزمرُّد اللانهائية.)

II

«... ملح التضحيات ...»

جارثيا لوركا

لو أنقذ الليلُ قُبته الفوسفورية،
وتجعدت تحت البرق وحوشك الضائعة،
فالأسماك الطليقة عشرةُ أطفال مسرعين،
ينضجون عِميقين نشيد الحراشف.

الأوكسجين الميِّت فوق المعادن
حين يمرُّ استعراضٌ لأفراس البحر المُذهبة
يُعكِّر الماء الأخضر بجرحِه اللعين،
بينما يمضي أصمَّ طقس الإخطبوط
مِلحُ التضحيات الجوار المُتآكِل
الضوء بلا لهبٍ قارضٍ، الحرقُ المُسال،
الدَّمُ الشاحب القديم للتيار الغاضب،
حيث يبعث الغرقى حُمَّاهم.
البحر البحر يدفنُ نبأه المالِح.
البحر يلتهِم أصمَّ حرق الشمس.
البحرُ يُشهرُ وجَهَهُ يُشهر نُدبتَهُ إلى السماء.
البحرُ يسقط مُهشَّما في رعاية الهاوية

على أرصفة المرفأ يخدعنا
فوح الطحالب المهزومة للأسماك المرة.

البحر ليس جثةً، إنه حلم تجلِده السياط.
متاهة مُتحركة ترتجِف فيها النجوم.

المَصَبُّ

اليوم هبطتَ مرةً أخرى من الجبل الأسود
بدون مصباحِك.

(تأتينَ إلى بتلصُّصِ شخصٍ منحرف عذب،
متجنِّبةً النظرات الفضولية للقرية.
حسد العجائز الغارقات في الحرارة
صرخات الأطفال وهم يُحاولون التعلق بنضارتك.)

ظللنا عارِيَين ننظُر إلى بعضنا في الظلمة الناعمة
متذكِّرين الأيام الخوالي التي تُبعثُ دومًا في دمِنا،
وفي ساعة الحُب صِرنا أرقَّ من أي وقتٍ مضى،
مسكونين بالكلمات الصغيرة أكثر من أي وقتٍ مضى،
وكل حواسِّنا مفتوحة مثل زهرة في الشمس.
استيقظتُ قبل الشروق،
وأرى أن شكل جسدِكِ قد بقي
مرسومًا على الوسادة.

وخرجتُ لأغتسل بماء مطر الليلة البارحة،
ونسيتُ أن أغنِّي للنوارس،
مثل كل يوم ...

III

قارب مُحَمَّلٌ
بالسَّأم،
قارب مُحمَّل بجماعاتٍ صامتة

يهرُب ببطءٍ ميتٍ إلى فكاكِ السرخس.
عند مقدِّمة القارب نقطعُ جدار الهواء الهائل،
ونُفَكِّرُ صامِتين في البلد
الذي بقي فيه الحبُّ يرتجف في وحدته الأولى.
الكتب مُندَّاة بالملح،
والماء يبدو من هنا كميدانٍ ضخم مهجور.
يا للطبقات المُتراكبة لوحشتِك التي تجلدها السياط!
لعريك العري البارد لصخرةٍ سوداء
الذي يتكاسَل هناك عند الأفق بين ذراعَي الريح!

المصبُّ

انتهى فجر السابِحين.
لستُ مُلتزمًا.
إنني فقط أفتح النافذة،
حتى تجيء إليكما وردة اليودِ الضخمة؛
الوردة العنيفة الأشدُّ تبعثرًا
الموجودة هنا برمَّتها، وتضعُ ملمَسها في كل شيء.

حين أراكما عارِيَين تتحابَّان تحت الملاءة الخفيفة.
— نظرة مُرتجفة تحت الجفنَين المغمضَين —
أعرفُ أنه ليس فقط هذا العالم ذا الحافة البحرية.
هذا الفوح القاطع للملح الساخن
هو ما يلطم وجهي بالأشواق الرطبة.

ما كان يجِب أبدًا أن أدعها تمضي.
إني لأشدُّ أسفًا على ذلك في بعض أيام الأحد مثل هذا الأحد الحادي عشر
الذي لا يُهِمُّكُما فيه وجودي في نهاية المطاف،
وتتضاجعان طويلًا

بعنفٍ تحت الملاءة الخفيفة.
نظرةً مرتجفةً تحت الجفنَين المُغمضين.

IV

يومَ يُطيلُ السَّمَكُ الأبُ عِقابَهُ في الهواء.
يومَ يُخاطرُ بنفسه في الهواء القاتل،
وفي آخر حراشفه تعلق بقايا من طحالب؛
بقايا من طحالب شاحبة صفراء.
بقيت بعد أن انغمرت لا أدري كم مرة!
يوم يتوقَّف جُرحي عند شاطئ الزبَد؛
عند حافة عُدوانه المُشتَّت، حافة أسنانه الصغيرة
المتطايرة.
يوم يكون المُستنقع هو الأفق.
مقلوبة في سَكرته وردة الرياح.
لا يمكن!
لا يمكن التفكير سوى في المَتاهات التي نَدِينُ بها،
في الأسرار العميقة التي تُوقِع القلب في أحبولتها.
ولا مكان لطرد الأرواح الشريرة، إنه الخواء المكتمل
للقلق في قلبِ الرطوبة المُهيمنة.
كل الأسئلة تمضي إلى قلب العظام،
وهناك تبقى مثل فصول عامٍ مشئوم.

ولا حتى اكتمال آثار أقدامِنا يُمكنه التمرُّد.
في الظل المُضاد ينام عطشنا.
وعُرْيُ الحمامات هو وحده ما يرنُّ
في السمع الذي يعترف بأن الضربات قد أرهقته.

(كم كنَّا نشتهي أن نَمضي حتى جنسِ مفتاح اللُّغز حتى الهمهمة
الواثقة من نفسِها في الحميمية الدفينة.

لكنَّ أي مفتاح أي مزلاج تُقبِّل،
فلا يبيعُنا لفصائل الحرس.
بأية مرارة نقذف كلَّ ما تبقى لنا من حظٍّ
دون أن يجعلنا ذلك ننزلقُ في نبتاته
الخائنة المُنبعثة من الرماد؟)

البحر واللحظة لا يمكن فكُّ طلاسمها حتى الآن.
فلنشرب!
فلنشرب كأسًا من هذا الروم السيئ الصِّيت.
فلنتباعَد نحو قمَّة الشاطئ؛
هذا الشاطئ الذي رملُه جُثَّةٌ مرمر مُفتَّت.
ولنُعِدَّ أنفسنا للإجابة على الحلم الذي سيأتي.

هافانا، مايو ١٩٦٢م

الشهادات

١٩٦٢–١٩٦٨م
المكسيك – هافانا
براج – هافانا

(طبعة أولى مجتزأة: UNEAC, La Habana, 1964.)

إلى روكي أنطونيو،
وخوان خوسيه،
وخورخي بلاديمير، فهم سيرثون أملي.

إلى مارجاريتا، من أجل الحب
الذي لم أكن أعرفه، والذي تعلَّمتُه معها.

لستُ مُجرَّد من يتحدَّث؛
فالعاصفة قديمة قدم النظرة،
أو نبضات الدهشة في أيام القلب.
أستخدِمُ هذه الكلمة التي صادفتُها فجأةً
في أحد شوارع المدينة، أو بين أوراق الشجر،
في ساعةٍ كان فيها الجميع قد توانَوا عن اليقظة.
لذا ستتعرَّفون عليها بسهولة.
إنها كالمرآة الأثيرة

المُستعادة مِن لعب الطفولة.
والفرق الوحيد أن ملمس التاريخ يبدو هنا.
كل المدلولات تنمو،
تُمزق كيس الرموز،
وتُصبح لحم العين.
الفنار الوحيد حمَّام المصير.
لذا لن تودُّوا معرفة اسمي.
يجب أن يُمزَّقَ كل ما يمحو منًّا وقتًا.
فلتتصدَّر الشهادة النزيهة ولا يكونَنَّ بيننا
سوى العطش الذي ينبثِق أمام الاستلقاء البادي للنبع.
ها نحن نحيا إذن في قلب الكلمة،
بين مفردات الأشجار والأعداء والمعارف.
ولسنا دائمًا وُدَعاء تجاهَ التزييفات الجميلة التي تصوغ نفسها
من صخر الحقيقة بقوة بقاءٍ ضخمة.
بهذا المعنى فإنني إذا شئتُم الشاهد.
لكنَّه شاهد بلا جدوى فقد أفسدَتْه العاطفة.
المُهم في هذه الحالة إذن هو أنتم.
لكن لا تُفرِطوا في الخوف، ففي أسوأ الحالات
سيكون المُعاقَبُ الوحيد هو أنا.
فليس في هذا الأمر مَوت لسواي.

(١) العالم الآخر

إلى إراكليو ثيبيدا

شُرفة

هذا أفقٌ يجعل المرء يقول:
«أحمل كبرياء

ريشاتِ الفخار الحمراء
المسروقة من ذات عُشِّ النار.»

يجعل المرء يقول:
«أنا عظيم وجميل
وراضٍ عما يُمكنني عمَله،
بوصفي الأشدَّ فقرًا،
بوصفي أسوأ الرجال.»

يجعل المرء يقول:
«لا أخشى سوى الجبن،
ولا يُبكيني سوى الحب.»

المُهان

كل شيء إلى رماد، الندمُ الكرهُ،
يُخْتَزَلُ
إلى دمعةٍ مُحترقة.
كلُّ شيءٍ إلى أسًى
يتضاءلُ،
يُثقِلُ عليَّ الأفقُ،
بلونهِ لونِ السُّخط،
بدعوته
النائية إلى الخطوة الميتة،
إلى جنونِ
طير القنص.

لم يُحطِّمني شيءٌ قدْر الهروب في الأصيل،
تحت نفس وجه الشمس الذي راقَب رجولتي،
على نفس الطريق
الذي ارتجف قُربَه لدى مروري

الأطفال والعميان،
والحكماء الليليُّون.
الآن أنا لا أحدَ، أنا لا شيء،
أبلَهُ خالصٌ في عظَمته الإنسانُ
الذي لم يحتمِل جوار السكِّين.

ابصقوا عليَّ إذا شئتم؛
ما عليَّ سوى أن أُنظِّف نفسي
بمنديلي الأحمر،
وربما حتى أبكي لكُم قليلًا
إذا حالفكم الحظ،

وربما لا.

تأهيل

غريقٌ في مياهٍ آسنةٍ أتى ليصعد معي، ليرى معي
الشاطئ الضخم المُشتعِل مِن البرج البارد،
وأصابع القناة
ما زالت مغروسةً في جلده المنطَرح.

مع احتراق الأناشيد ركعتُ وسكِّين الصوَّان
الأجش دومًا بين طيَّات الليل
الذي تمحوه صروح الضوء.

«اصرُخ مودِّعًا وداعك كشاهد — قال
فاتح أُفقي كله —
حين تهبط مِن هنا ستكون ملكًا ميِّتًا آخَر في الشوارع.
ستُقبِّلُ الأسفلتَ، ستكون مُمتنًّا
لوطء السيد.
ستتعجَّل قدح كراهيتك في الوحشة اليائسة.

ستتساءلُ
عن الشذا الأخضر لآلهتك.
لكن فقط كمَجنونٍ لا يحتمل
الجبن منبوذًا.

ستصرخ في الصغير
شاحبًا تحت الشمس، ستكون المُتواطئ
اليوميَّ، المتواطئ العنيد المَهزوم بدمعةٍ خالصة.

بهذا الجُرح الشاحب أيُّها البائس، أيها الحبُّ القذِر،
أُحقِّق كلَّ هذا من أجلك.»

وفي داخلي وُلِد
تابِع إقطاعيٌّ آخَر.

طقس من أجل أن تُولَد زهرة فوق الهرم الكبير

هنا أترك لك حفنة الماء هذه
أيُّها الهرَم بالشمس فوق قمَّته،
لتُعينك ضد تكلُّس الظهيرة،
ضد مَهانتك القديمة مِن قِبل ذلك الإله ذي الأشعة.

الجميع يَطئونك ويجلبون إليك التراب،
يلطمون بأقدامهم حدَبتك الحجريَّة الضخمة،
يخدشونك ويَبولون عليك بلُغاتٍ مطحونة.
لكن لا أحدَ يتذكَّر أنَّ النضارة كانت أفضل احتفالاتك.

لذا أجلب لك حفنةَ الماء هذه.
النهر وأنا نَضعُها على جبهتك،
حتى تبتسِم وتنطق زهرة.

(٢) بلسان الحلم

إعلان إيمان

(خطبة)

«بعد الرب، نَدين بانتصارنا للخيول.» يكتب برنال دياث مُشيرًا إلى فتح إسبانيا الجديدة. «ما أتعس آلهتنا، بلَغ من خَرَقهم وخَرَقنا، أن هُزموا على يد الآلهة — الخيول الجديدة ذوي صوت الرعد والخطوِ الماحق.» يكتب كاتبو التقاويم مِن السكَّان الأصليين بعد الهزيمة. وهذا شيءٌ مُشجِّع، فحيث إن الرب على وشك التلاشي إلى الأبد، فإن المؤمنين غير المتوافِقين يُمكنهم الانتقال إلى عبادة الحصان بناءً على المسافة الضئيلة التي تركها التاريخ قائمةً بين الاثنتَين. ومن جانبي أُعلن أنني لا أفكر في الإيمان بالحصان. (آه، كم تجعلني أرتجِف من الفخر جسارة المُفكر الحُر هذه!)

الدرس الأول

واضحٌ أن الأمر كذلك، يا فتى. ربي خلق الإنسان حسب خياله ومِثاله. لكنه خلقَه ذات سبتٍ، مُرعِدًا مِن السُّكر الكلِّي القدرة، وحين كان لدَيه معيار مُبالَغ فيه لصورته. ومِن هنا نُظهر نحن دموعًا، وأحشاء للكراهية ومساراتٍ مختلفة للعطش والحُب. ذلك يَسحقُ، يا فتى، يسحق.

تكريم للمريمية

أوراق المريمية، التي إذا لُفَّ فيها رمادٌ ساخن تكون أفضل ما يُوصَف لألَم البطن، لها خصائص سحرية عديدة، مُجرَّبةٌ بكثرة. بنقعِها في الكحول تنبعِث منها، عند تعريضها للقمر البدْر، عصارة سوداء يستخدِمها سحرة إيثالكو لتضميخ التبغ. وعند تدخينه، يطرأ حلم مُعيدٌ للشباب وتنبُّؤي. ومسحوق أوراق المريمية المُجفَّفة في الشمس، المُستنشَق عبر الأنف، يُزَوِّد بقسوة هائلة ويجعل النظرة ثابتة. (قتلة النمور، الشبَّان بالأخص، يستحق الأمر عناءَ الذِّكر، عادةً ما يَستخدمونه باستمرار.) هذا المسحوق ذاته، مُستَخدَمًا في خلطات مُختلفة، يُعيد العُذرية، ويجعل الرجل العادل خفيًّا عن أعدائه، ويُتيح فهم لُغة الطيور وعمومًا لُغة الحيوانات التي تحيا في الأشجار، يشفي مِن الذُّعر، ويُنبِّه المسافرين الليليِّين إلى

المناطق المأهولة بزهرة النوم، ويحمي ضد القوارض، وعنكبوت الخيل والسِّحلية السامة، ويشفي من النفور.

هم

في البدء جَمَع الشياطين – الستة – الزرقاء – المربوطة – من – ذيولها في الدوَّامة الماضغة لهونٍ هائلٍ اثني عشر مقدارًا من الكهرمان الأسود، والبراز، ومرارة صقرٍ مُدرَّب على صيد السناجب، ومواد تجميل وعطور خفية تخصُّ امرأةً مُكلِّفة، وفاسقة. ومن الكتلة الناتجة شيَّدوا واحدًا فواحدًا أعدائي القاتِلين العشرة.

عشبة الآثار

في بلدي توجَد عشبة الآثار. حسب ما إذا كانت الشمس حارقةً في الأيام الأخيرة، تُظهر هذه العشبة آثارَ مرور حيواناتٍ مختلفة (غزلان، طيور طنَّانة، أفاعٍ، عناكب خيل، طيور عقعق، أسود أمريكية، عظائيات، قوارض، قطط ثربانتس، آمال، صقور وفراشات) أو، أشياء مُتحركة مُتباينة (جرَّارات، مهربين، قطارات، بارات دوَّارة، عيادات قابلة للنقل، زلَّاجات، درَّاجات نارية، مكتبات مُتنقلة، عربات بطيئة، درَّاجات بثلاث عجلات، ومقذوفات مختلفة لأسلحةٍ نارية مُتفوقة). يقول الدارسون إن ذلك يرجع إلى الخلطة الكلوروفيلية لتلك العشبة، القابلة للانطباع، على ما يبدو، على مسافة. الأشكال تلتقِطها امتداداتٌ ضخمة من العُشبة في تضاريسها العامة بالتخثُّر البارز وبلَون تلك الخلطة الفريدة.

هنَّ

النساء العاريات مِثل أمسيات نهاية العام في بلدي، حين ينفُذ البرد خلال مسامك مثل الأصابع الصغيرة لإلهٍ مرح، وتوشوش النجومُ القريبة نشيدًا مُكرَّسًا لأحداثٍ عميقة وقريبة. أيُّ طريق يتبقَّى لك، والأمور على هذا النحو، سوى أن تنغمِر فيها مُتوَّجًا بصمتٍ خجول ومُترقِّب، كمَن يُنبِّه **الأم الطبيعة** بأنه قد صار من جديدٍ هنا، أنه قد عاد، مُقبِّلًا بشفاهٍ مُتضائلة حافةَ قدمِها؟

الذئب الأمريكي

كبرياء المهجور في عيونه ذات البياض — الأفسنتين [الأبسنت]. يفوح بالسجن ولا يخشى النار. رأيته يهبط إلى طرق تشالاتينانجو الجافَّة، ويموتُ مُحاولًا مهاجمة سيَّارة أو كتيبةٍ مِن الجيش تُغادر ساحة التدريبات. ليس فيه جبن، إذن، أكثر ممَّا لدى نوعٍ مُعين من الرجال المتهوِّرين والمُتجهِّمين الذين يُشبهونه في حُبهم العنيد للعزلة. يتغذَّى على أسماك النهر ويُهدئ ميلَه القاتل في الطيور. كان الذئب الأمريكي الحيوان المقدَّس لقبيلة مُتلعثمة أصابتها اللعنة لعدَم دفعها الجزية لسيِّد كوثكاتلان. لذا فهو مكروه ومُطارد، والأسوأ، يُنسَب إليه العواء الليلي للكاديخو.[1]

الغزال

له أجمل عيون على الأرض، مثل عيون ليسا. حيوان مُكتمل، ذو هندسة حريرية ومراوغة. رغم أن البعض قد يقول العكس، فإنه يتغذَّى فقط على الماء والفراشات، وحين يكون وحيدًا يستطيع الطيران. صُنِعت أُذناه من رأس أفعى مُفرغة برهافةٍ ومُغلَّفة ببتلات زهرات أوركيد. وقرناه من مرجان وطحلب. ورأسه من ليلٍ ضئيل ووحشية. في صباه الأول يكون مِثل إلهٍ أحمق وسريع التأثر. وفي سحر شبابِه يكون غامضًا ويُثير الرغبة جسديًّا. وفي شيخوخته يكون حكيمًا ويجعل المرء يُطرِق بعينَيه. الغزال يفوح برائحة امرأةٍ وحين يُعاني الكرب يُفرز عرقًا معسولًا، إذا أمكن جَمعُهُ فاترًا، يُفيد في شفاء سُعار الحيوانات المُفترسة.

تاتا

حين قالت ماريا لوي لزوجها إنها وَلدت أفعى، إن كلَّ أشهُر انتظار الطفل التسعة وجدت ختامها في ذلك التلوِّي اللزج والسريع ذي اللون الأخضر الذي يظلُّ بصعوبة بالِغة بين عيدان المهد، فإن ذلك، سيكوندينو لوي، خرج إلى فناء الدار، سنَّ حدَّ الساطور وعاد إلى الغرفة ووجهه مُنقبِض. بعدها قال لماريا: أرأيتِ ما يحدُث نتيجة العُهر مع الشيطان؟

[1] cadejo: حيوان فانتازي يجوب الشوارع بالليل.

وكالَ لها ضربةَ ساطورٍ أولى، عميقة، في جبهتِها. وعلى الفور فتح المهد. فتَّش ببراعةٍ عما يجب أن يكون رقبةَ الأفعى، ومضى بها إلى الجبل. في أرضٍ جميلة مُبطنة بالقطن، برائحة رطوبة وحرارة الأمس، تركها تمضي. باركك الله، إذن — غمغم. وعند عودته إلى القرية، كانت عينا سيكوندينو ملوَّنتَين، مُلوَّنتَين.

البِركة المسحورة

البركة المسحورة تقع قُرب تينانثينجو، عند منعطفٍ لنهر كيثالابا. من يغرق فيها يفقد كلَّ صلابة. تتَّحِد أسنانُ الجُثمان في كتلةٍ واحدة كثيفة ويبدو الأنف بلا دعاماتٍ وكأنه انهار. المَكلومون الذين يُنقِذون تلك الأجساد — مع فقد العظام لمُقاومتها بتلك الظاهرة — يَبرُمونها كحصيرةٍ وفي حصيرةٍ أخرى يلفُّونها ليدفنوها. كلُّ هذا يُثبت النشاط الخاص للموت. فما دام المرء بقِيَ حيًّا يُمكنه السباحة بابتهاجٍ في البركة المسحورة دون إزعاجاتٍ سوى بعض التجاعيد في الأصابع (الخاصَّة، حقًّا، لأنها تظهرُ، على عكس ما تُحدِثها المياه الأخرى، مُخترِقةً أطراف الأصابع أفقيًّا.) وأكد عمِّي أندريس أنَّ أسماك البركة المسحورة عمياء وتموتُ إذا جذبها التيَّار خارج التجويف الضخم. كان آخر غريق فيها يُدعى ثابااليتا وتم برْمُ جسده بالعكس (لتظلَّ الساقان في آخِر طيَّةٍ) والسبب أنه بسبب استحالة إغماض عينَيه، صارت تلك النظرة المُسطحة مزعجةً تمامًا للناظرين.

الدويندي[٢]

كان أحبَّ ملاكٍ إلى الله. والآن يحيا على ضفاف أنهار السلفادور مُتغذِّيًا على حشراتٍ ذهبية مُتناهية الصغر ومُتلصِّصًا على فتيات القرى القريبة اللواتي يأتين ليغطسنَ في الماء المُنعش. وحين تجتذِب إحداهنَّ بوجهٍ خاصٍّ نظراتِه المُختلسة بالجمال الواعد والمليء بالفصول المُزهرة لجسدها، يُسقِط الدويندي فوق شعرِها بطريقةٍ خفيَّةٍ لا أستطيع وصفها، إكليلًا من أزهارٍ صغيرة بيضاء ووردية. هكذا يُكرِّسها بوصفِها حبَّهُ الجديد. وعلى الفور يبدأ الدويندي في مطاردة مُختارته، وخلال أيامٍ قليلة تتحوَّل المُلاحقة إلى تحرُّشٍ وحشي. يجعل

[٢] el duende: جنِّي أو عفريت صغير أو مِن أرواح الغابات. تُقال أيضًا لجنِّيِّ الشِّعر. (م)

الدويندي الأحجار تسقُط فوق بيتِ محبوبته، يُوقع دمارًا في الحديقة، يجعل النوافذ تتحطَّم أو يبدأ حرائق موضعية في الجوار. وإذا كان للفتاة خطيب، فلا بد أن يحذَر بوجهٍ خاصٍّ من الظهور لأن الدويندي في حنق الغيرة سيُمسكه من شعره ويقوده إلى هاويةٍ قريبة وعميقة ويترُكه معلقًا من أحد أغصان الضفة. كما يُمكن أن يقتله جاعلًا إيَّاه يضحك حتى الانهيار التام بلمساتٍ بارعة في جسده. بهذا المعنى الأخير يكادُ الدويندي أن يكون كُلِّيَّ القُدرة، فالكلب وحدَه، الذي لا يُعاني من الدغدغات، هو مَن يُمكنه الإفلات من مُخططاته القاتلة التي يُرتِّبها على هذا النحو. ومِن المُضايقات التي لا تُحصى، ينتقِل الدويندي إلى نشاطٍ أهدأ لكنه أخطر. يُغنِّي كل ليلةٍ بصوتٍ رائع تحت النافذة التي تضمُّ حبيبتَه. يمكن أن تنشأ حالةُ أنْ تبدأ الغوايةُ في اجتياح جِلد الفتاة. والشكل الوحيد لإنهاء الحصار يتمثَّل في أن تقوم مختارة الدويندي بالحديث معه خلال أغنيةٍ ليلية، وتطلُب منه، كدليلٍ على الحب، أن يُغني من أجلها إحدى الأغنيات التي كان يرفعها حتى عرش الرب، حين كان في الفردوس. على الفور، يسقط الدويندي فريسةً لسوداوية بالِغة العمق. بقلقِ مَن فقَدَ كلَّ شيء، يُنشد الأغنية السماوية — التي، بشكلٍ مُذهل، لا تكون دومًا أجمل من تلك التي تُسمعُ في طرُق الريف — وينصرِف باكيًا في صمتٍ ولا يعود أبدًا.

بِيْسون

الأمير بِيْسون — وهذا معروف تمامًا — كان له ثلاثة رءوس. الأيسر، الأقل جمالًا بقليل مِن الأيمن والأوسط، لكنه ربما، إذا لزِم الأمر، الأكثر شموخًا وتفحُّصًا، كان الرأس الذي يُفكر في حُكم المدينة (وهي مسألة قلبٍ عند الأمراء الصالحين.) كان له شعر أسود مثل أشقَّائِه، ونفس الملامح الجانبية العنيفة التي تجعلُ الهواء المُحيط به يبدو وكأنه على وشْك التدويم. الرأس الأوسط كان له طابع حُسنٍ صغير أخضر قُرب العين اليُمنى، لا يكاد يُرى، إلَّا خلال الليالي: وكان الرأس الذي يمرح ويتواصل في الحب، الذي يُقبِّل ويقول كلماتٍ لا تتكرَّر، رغم أنها مُخترَعةٌ لتوِّها، بينما يغمِض أشقاؤُه عيونهم ويرتعشون بخفَّةٍ بارتجافات طير. وبالأيمن كان بيسون ينظُر إلى نفسه في الماء، هو رأس التأمُّل الشخصي والغناء وحيدًا. كان الأمير مُثلَّث الجمال، وأبانا أيضًا. كان يرتقي مراعي الغزلان المُتغيِّرة ويصِل حتى البحيرة الكبرى ليصطاد السمك: كان من البهجة رؤيتُه وهو يستخرج سمك المُحرَّب والسرطانات الكبيرة الحمراء، وأسماك الأنقليس والجمبري التي تتجمَّع في البِرَك الصغيرة الملاصِقة من

أجله فقط. في أحد الشواطئ الخفيَّة للبحيرة الكُبرى — قريبًا من حيث يخترِقها نهر لاس فلوريس — رأى للمرة الأولى سيهويلوت، تستحمُّ عاريةً. هو، من يُخصِّب التربة بعبوره، هو، راعي العصارات التي تجعل العُشب والذرة ينموَان، فقد عندها سلامَه.

معلومة

مرةً في الشهر يحاول الأفق، مُتعبًا مِن ثَباته أمام تنائي عيون البشر، أن يتحوَّل إلى إعصارٍ ويُلقي بنفسه فوقَنا بلا رحمة. لو لم يكن من أجل **أولئك** الذين لا يجِب أن أنطق باسمِهم، لكان المَوتُ هو كلَّ نصيبنا منذُ زمنٍ طويل. وفي أحد شهور الزهور، منذُ الكثير من شهور الزهور، سقط فوق إحدى مُدنِنا ثِقَلُ الأفق المفكوك. لكن، فيما يبدو، كان ذلك انتقامًا استثنائيًّا من **أولئك**. كانت مدينةً من المُتشكِّكين والمُقرقِعين. وكان اسمُها منازل — الياقات — الكثيرة.

بلسان الحلم

تحدثتُ معك بلسان الحلم
أيها اللسان الأزرق أيُّها اللهب السجين،
لعاب المُتوفَّى الذي لا يكلُّ.

قلبي مُستقر في الأسطورة،
لا يدري هل يموتُ أم يُعلي بهجتَه،
مثل الدِّيكِ إزاء سكِّين الشمس اليومية،
أعترفُ أنني حيوان صلبٌ بعظام طويلة،
لا أفزع أبدًا أكثر ممَّا عند الميلاد.
أنت خلاصُ خطواتي الضائعة.
أنت وطن الطقس دون مَوتَى سوى الكراهية.
أنياب ذلك الطقس بين أوراق الشجر
المحمية مِن جفاف السمِّ،
ومن الأنهار التي لم تمسَّها الشمس قط.
حيوانية مخلصة تُنقذُ

جسدَك مِن العبق ومِن الرطوبة.
العطش يخنق قدْرَ ما يخنقُ الماء.
نهري من الأُسود الأمريكية مِثل الإعصار،
مثل النَّدى مثل سنانير
النار المُتمهِّلة، الجحيم الصغير
لتاريخك المسحوق.
أيها الحُب، أيها الحُب الأرضي،
بلِسان الحلمِ تحدَّثتُ معك.

نصوص وقصائد شخصية جدًّا

١٩٦٢–١٩٦٥م
هافانا – سان سلفادور

(أُدرِجت بعض هذه النصوص في مجلد الطبعة الأولى من **الشهادات**.
وتُدرَج هنا مع تعديلات لاحقة.)

I

الحياة غير المُجدية

«... ويجب أن نحياها بحيث لا نشعر بألمٍ مُعذِّبٍ بسبب السنين المُنقضية عبثًا.»

شريان الرقبة ذاك أخذ يُضايقني مرةً أخرى منذ طلوع النهار. الجرح اتسع، هذا أكيد. ذلك راجع لا بدَّ إلى الكراهية التي وجَّهوا إليَّ بها طعنة المطواة. لكن لا يمكنني أن أشكو في الحقيقة. طبعًا، لو أمكن القضاء على تلك الديدان البيضاء التي تُعشِّش تحت أظافري، لمضى كلُّ شيءٍ بصورة أفضل. إذن العيون في هذه الظلمة لن تكون لها ضرورة، أقول، هذه العيون التي كانت عيوني حتى الأسبوع الماضي على الأقل، أعني ... مفهوم بالنسبة لي أنني سيتوجَّب عليَّ غدًا أن أبدأ التذكُّر. سبعة وعشرون عامًا والذاكرة البِكر في وظيفتها الجديدة لتوجيه اللوم، ما زالت تتمطَّى.

II

طفولة

(مدرسة سان خوسيه الصباحية)

وحينها كنتُ أحمل ببغاء إلى **العذراء** بينما يُدوِّي الأرغن. «هذا تخنُّث — قال أ. أ. — مع وجود سان إجناثيو دي لويولا الذي خاطر حقًّا بخصيتَيه في الحرب وفضلًا عن ذلك أسَّس الفرقة أمام إصرار زميله ذاك الذي يُكرِّر له في كلِّ الساعات المقدسة»: «ماذا يُفيدك أن تكسب العالم، إذا خسرتَ روحك؟» كان أ. أ. نصف أناركي. قادرًا على زرع القنابل وخلافه. للملوك والرؤساء.

III

أ. أ.

كان لي صديق صغير يُدعى أ. أ. ولمَّا كنَّا نذهب إلى نفس المدرسة (مدرسة سانتا تيريسيتا للطفل يسوع، للآنسات جونثالبو)، وقُمنا سويًّا بالمناولة الأولي ونحيا في نفس الحي (وبشكلٍ أو بآخر، كان أبوانا قد هجرا أُمَّينا إلى الأبد، فتحوَّلَتا، منذ ذلك الحين، بقوة الظروف، إلى قديستَين وبطلتَين — علاوة على كونهما كادحتَين لا تكلَّان —)، كنَّا نلتقي يوميًّا لعمل الواجبات المدرسية، استظهار أغنيات طفولية «الفأر ذو الأسنان القوية – الزرافة ذات الشال – والفيل الصغير – من يدِه إلي أمه» أو تلك الأغنية بالفرنسية التي تُشبه بالتقريب «بتيتون دي فوا – كي سابيه موفرسابيه موشوريه – آلا ميستر فليت، إلخ.» petitón de vuá – que sabé mufársabe mushuré – a la mister flite, etcétera وتخيُّل مع أخذ ملاحظات مكتوبة عن الاحتمالات، أيُّ نوعٍ من العلاقات الغامِضة على المستوى الشخصي جعلت من المُمكن أن ينشأ من زواج القديس يوسف والعذراء المُقدسة، الطفل الرب (الذي بدا لنا مُنفِّرًا تمامًا في ذلك الحين بسبب تجاعيد شعره المبالَغ فيها التي يُمثلونه بها وبسبب وجهه وجه العانس البدينة — هذا مفهوم لم نكن نتعامَل معه في تلك الحقبة، لكنه اتَّضح مع مرور الأعوام — وبطنه دون سُرَّة، وهو توجُّه لا يتعارض مطلقًا مع التقاليد الثقافية السلفادورية التي استطاعت أن تترك لنا مقطعًا

جميلًا بهذا المعنى: «وُلد طفل/أجمل من الشمس/أفخاذ من الأفوكادو/كرش وطبلة»). كم كنَّا نكرَه، يا إلهي المُقدس، كيكي سولير، الذي كان أكبر منَّا بعامٍ كامل ويمر بين الحين والحين ليُبلغنا أنباء مقلقةً في مجال ظمئِنا. «لا تكونا أبلهَين — كان يقول — يُولَد الأطفال حين يضع الأبُ الحمامة في مؤخرة الأم. ثم يقطعها الأبُ بسكِّين مغلي. تصنع الأم هكذا فتذهب الحمامة إلى الداخل وهناك يتشكَّل الطفل. لذا يجب أن نُحب آباءنا كثيرًا لأن قطعهم للحمامة يجعلها في أهمية دجاجة. رغم أنها تنمو من جديد.» كم عبَدني أ. أ. حين اكتشفتُ وجود ووظيفة الإسبرماتوزويد في كراسة ملاحظات تمريض تخصُّ أُمي. عندها أراد أ. أ. أن نعقد حلفًا بالدم بأن نقطع طرف إبهامَينا بصخرةٍ حادة، كما فعل تيم ماكوي مع الهندي خيرونيمو. ومِن ذلك الحين، في أغلب المرَّات، نُحاول إتْباع «الكل للواحد والعكس بالمشقلب» **للفرسان الثلاثة**، لكن يجب أن أعترف أننا أيضًا كانت لنا لحظاتنا الأحادية الميل. فمثلًا، مرت فترة كان فيها أ. أ. يأخذ كراساتي وكُتبي فور أن أغفل، ويرسم في أية صفحة داخلية إمضاءَه في ذلك الحين «ذ. ذئب» L-Lobo، الأمر الذي كان يُزعجني جدًّا ويجعلني أُطلق ضده، واحدةً أو أكثر من الكلمات القبيحة العشرة التي أعرفها. أعني: caca كاكا، junene مؤخرة، marica مُخنث، qué-te-import ماذا يُهمك، cométe un huevo en torta كل بيضة في ساندوتش، tu nana أُمك، cipote cabro عيل، خروف، إسبرماتوزويد، guilo-mac-guilo جيلو-ماك-جيلو، وgimi-uan-foc جيمي-وان-فوك.[1] كان لصديقي الصغير حاجبان غريبان، شيء يُشبه الرمز التقليدي الذي يُشير لنا به الرسَّامون الأكاديميون الكسالى أن نورسًا أو طائر نوءٍ على وشك أن يختفي وراء الأفق؛ وشفتان شديدتا الامتلاء لا أجرؤ على تسميتِهما مُنتفخَتَين لأنني أكره تعبيرات التخنُّث الإسبانية وكتِفان مُبطَّطان أكسباه من جوِّ القسوة السائدة في المدرسة اللقب الحاسم «كوكاكولا»، وفوق كل شيء، فخذان قيِّمان لفتاةٍ خلاسية مثَّلَا مشكلةً

[1] ترجمات الشتائم هنا تقريبية ومُخفَّفة: كاكا caca: تشير إلى البراز، مؤخرة junene: تشير إلى فتحة الشرج، مُخنث marica، ماذا يُهمك qué-te-importa: ربما تشير إلى أنك من السوء بحيث لم يعد يُهمك شيء، كل بيضة في ساندوتش cométe un huevo en torta: للإشارة إلى تداعِيات كلمة بيضة التي تعني أيضًا الخصية وتدخل في تركيب عدد هائلٍ من الشتائم، أُمَّك: شتيمة بالأم، عيِّل، خروف، إسبرماتوزويد، جيلو-ماك-جيلو guilo-mac-guilo: سليمة مُستغلقة تمامًا، وgimi-uan-foc جيمي-وان-فوك: جيف مي وان فاك، للإشارة إلى كلمة fuck الإنجليزية.

خطيرة لطفولته التي كان يرغب، قبل كل شيءٍ، أن تكون صاعقة وعنيفة. وفضلًا عن ذلك، كان يصنع أكثر الرسوم التي أتذكَّرها إفزاعًا بصورةٍ مبهجة. أودُّ أن أعلن بوقار هذه الليلة، أنني أتحسَّر في أعمق أعماق قلبي على عدم الاحتفاظ بكراسةٍ واحدة من كراساته لذلك الحين، فأنا واثق من كونها ذات قيمةٍ هائلة كأشياء نادرة وجميلة في أية سوقٍ فنية جادة ومعقولة. لا شاجال ولا هندي مُلفلف، كما يقال في السلفادور! وحين أصبحنا في المدرسة الثانوية — يملؤني بهجةً الاعترافُ أن ذلك كان بعد سنواتٍ كثيرة — صنعنا أ. أ. وأنا نسخةً حمقاء من نشيد مدرسة سان خوسيه النهارية؛ ونشيدًا خاصًّا بنجاحنا كطلبةٍ يختصر صيحة الحرب أمام الخطيبات اللاتي كنَّ يهجُرننا في العادة لكوننا مُفرطَين في إصرارنا على الجسد (مصاغًا بألفاظٍ ما كان الرهبان الأشدُّ خيالًا في عربدة العصور الوسطى بقادِرين على توقُّعها)؛ وثلاثة عشر نشيدَ سكارى تستهدِف التنوُّع بلا نهاية حسب مكان الصخب؛ ومجموعة صيحات تشجيع للقاءات كرة السلة بين المدارس الأشد أهميةً بالنسبة للمراهق السلفادوري المُتوسط من الحربَين العالميتَين (وأشد خطورةً، بالتأكيد)؛ وبعض القصائد للعِلم وللأم؛ وعدد لا يحصى من المؤلَّفات الوصفية التي قُرئت في مادة الأدب التي درسها المُوقر ألفونسو دي ماريا لانداريتش، المُلقَّب تابون Tapón [قصير/قزعة]؛ ودراما شعرية فظيعة — مشحونة، رغم كل شيء، بلمساتٍ قوية من البراءة والإخلاص — ضد أحد زملائنا الطلاب المدعو تيكولوتي [الخلاسي]، الذي بلغ مرتبة **أمير المدرسة** وفيما بعد، في الحياة بالفعل (ربما أعاقه ذلك التباهي المراتبي، اليسوعي بشكلٍ مُميَّز) وصل إلى قاضي الشرطة في سان سلفادور؛ ومشروع مِن ورقةٍ واحدة، لم يبلُغ حدَّ الطبع هنَّأنا فيه بابتهاج الشعب السلفادوري بمناسبة قيامِه بإضرام النار في الكاتدرائية المتروبوليتانية، رغم نجاة السيد رئيس الأساقفة — لسوء الحظ، كما قُلنا.

سيكون مُثيرًا للاهتمام جدًّا في الحقيقة أن نتحقَّق مما كان يمكن أن نصنعه أ. أ. وأنا، اللذان صمدنا معًا، فوق ذلك، لرُعب انفجار عشِّ دبابير طنَّان عند أقدامِنا؛ ولنوبات الحنَق الوحشية لذلك الشرطي العجوزِ المُنحلِّ الذي يشنُّ حملات اعتقالٍ في كامبو دي مارتي والذي أطلقنا عليه لقب «رحلة الماء» بسبب التواتُر غير المعقول للاعتقالات التي يُجريها؛ ومتاعب سباق دراجاتٍ بثلاث عجلاتٍ هابطين المنحدر؛ وإنكار الذات المتبادل في الحب المتزامِن تجاه نونا، الصبيَّة الشقراء بسحنة وريث بريطاني ستنمو بعدها كثيرًا (أعني السحنة) وتكتسب مظهر شاطئٍ فسيح من الرخام ما زلنا

نُفتش فيه عبثًا عن آثار حرارة أو شفقة؛ ماذا كان يُمكن أن نصنع، أُكرِّر، لو كانت الحياة قد أتاحت لنا في هذا العمر القرب الدائم، ونحن نعلم، خيرًا أو شرًّا، أن ثمَّة الكثير من الألم بين أزهار العالم والكثير من السكاكين اليتيمة في الأشجار، والكثير من الأفاعي التي يجِب قتلُها والكثير من الدموع التي تطلُب مجرد كتِف صديق، والكثير من البرد الذي يُثير فينا العطش لنظرةٍ شقيقة كي نُحس بأنه ما زال بمقدورنا أن نُخرج للشمس قلبَنا المجلود. مجرد التفكير في ذلك يُصالحني مع شهر مايو. ويجِب أن أتبيَّن لماذا.

IV

شقيقتي

شقيقتي لها عينان مذهولتان. حين أشعرُ في المحطات الخضراء للحافلات بأن الوحشة تُطوِّقني بملائكتها المُحطمة، أتذكَّر الضوء الفاتر لقلبها وأعرف أن ثمَّة شخصًا، بالغ القرب، وأنها مهمومة لأنني قد أبلغ سنَّ السخرية (وهو حين يحزن المرء بسبب الموت) أو أشواق العَمى (وهو حين يتخلَّى المرء بشكلٍ لا يلين عن عقيدة الموت). وهي طفلة، قامت شقيقتي برواقية بواجبها الفظيع في خنق عرائسها، باحثةً بعدَها عن أزهارٍ ذابلة لمقابرها في شوارع المدينة التي كانت من نصيبها. فيما بعد كان لشقيقتي خُطَّاب، وصديقات حارسات، ومُساعدون روحانيون، وأساتذة علوم سياسية، وانغماسات، وتراجيديات صغيرة ونوبات سأم خفيفة. وذات يومٍ أصبحت شيوعيةً، ودخلت منذ ذلك الحين في صفوف المُختارين العظام والمُستنيرين اليومِيِّين، حسب ما تقول بطاقة العضوية الحمراء التي أعطَوها لها، وهناك تبقى، كما أعتقد. بعاداتها الريفية التي تُبعدها عني أحيانًا، بأكاذيبها الرائعة وإيمانها النادر غير المُحدَّد بالشكوك الكبرى التي يجب أن نُحبَّها نحن الذين نستيقظ بغتةً على الأبدية برمَّتها. يُثير مشاعري أن أراها تقتفي أثر الحضارات المُقدَّسة، تكتشف عبَّاد الشمس الضخم للميادين التي يجتاحها الشعب، وتقول ليس – ذلك – سيِّئًا – على – الإطلاق مشيرةً إلى الجريمة التي يتجاهلها شخص في الوقت المناسب، في مكانٍ ما من العالم.

VI

مقارنة أمريكا الوسطى

في نيكاراجوا ثمَّة بحيرة ضخمة ذات ماءٍ عذب وأسماك قرش كذلك. ورئيس جمهورية نيكاراجوا هو ابن رئيس جمهورية نيكاراجوا. ثمَّة إذن في تقاليد نيكاراجوا، رئيس جمهورية نيكاراجوا الأب ورئيس جمهورية نيكاراجوا الابن. ويتميز المواطنون النيكاراجويُّون بأنَّ الحِجاب الحاجز لديهم، أي دعامات الحجاب الحاجز، باللون الأزرق، والرئة اليُمنى خضراء. ولذا تُجرى جراحة الصدر والتشريح تحت القسَم بالحفاظ على السرِّ ولا يُسمح بوجود الجراحين الأجانب في البلد. وفيما عدا ذلك يتطابق النيكاراجويون مع السلفادوريين، الذين يتميَّزون، عن بقية البشر، كما هو معروف، بعدم امتلاكهم لصمام بوَّاب نهاية المعدة وقابليتهم الشديدة للكحول، إلى حدِّ أن زجاجات الخلِّ في بلدِنا تُباع وعليها بطاقة تحمل جُمجمة وتُباع فاترة.

VII

قريب

أتذكر الأمر كأنه حدث الآن للتوِّ. كان يتسلَّى في كرسي المشلول بتقليب عينِه التالِفة — المعروقة — كأنه يُعضعِضُها بنَهَم وبطءٍ بجفنَيه. منذ زمنٍ كان قد كفَّ عن السمنة. لكنه كان حينَها يعاني من عملية — جسمانية، أقول — للانطمار. للتقوقُع في قذارة أحشائه. كل ما فيه — الجزء الأعلى من ساقَيه والصدر، والرأس ذاته — بدا أنه يتَّجِه، يتهاوى نحو مركز بطنِه الضائع بين المعاطف الشديدة القذارة. وفي تلك اللحظات طرقت حبيبتُه القديمة — ليونا — باب منزلنا. كانت الساعة السابعة، أو نحوها من صباحٍ حارٍّ جعل الغُرَف الحديثة الاستيقاظ تكتسب طعم الدخان. كنتُ أنا نفسي مَن فَتَح، مُبتهجًا باستهلال النهار بفتح باب. قالت ليونا: موجود ...؟ وحين أصبَحَتْ أمام جدِّي، نظر إليها هو بعينِه السليمة وسال لُعابه قليلًا. بعدَها ظلَّ ينظُر إليَّ بأعظم تعبيرٍ عن الكراهية يُمكنني تذكُّر أنني تأمَّلتُه في حياتي. فقد كنتُ بجوار ليونا — التي كانت تتنفَّس بصعوبة ولا ترى سواه بحبٍّ لا مُتناهٍ انطلاقًا من حدَبته التي بدت أبديةً — بصدري العريض العاري، المُشابه، حسب ما تقول

لي بيجي، لتمثالٍ نصفي لذلك الإله المُثير المتدلِّي في الواجهة الضخمة لـ «باريس-فولكان». لو كنتُ ... — بدأ جدِّي يقول. ثم مات.

X

أنا والأرقام

هناك أشخاص لا مُبالون يعتقدون أنه عند ضرب كمية في واحدٍ تظل على حالها؛ أنه لا يحدُث شيء، كما يُقال، ولا يتعلق الأمر سوى بتبديدٍ أحمق للوقت، مثلما حين ينظر المرء في المرآة. وفي الحقيقة، عند ضرب كمية في واحدٍ يفترضُ ذلك لها رفع التدهور في حسابها لنفسها للحظةٍ، في تقديرها الذاتي الكُلي، بعدم اكتساب لا إمكانية التقدُّم أو الازدياد، كما يُمكن أن يحدث في الحالة السعيدة للرفع إلى التربيع، ولا إمكانية التناقُص والنُّحول، التي يمكن أن تحدُث في الاحتمال المشئوم لعملية طرح أو قسمة. الأمر الفظيع هو عندما لا تتجاوز الكمية خمسَ وحدات. بالنسبة لواحدة من ثلاث، مثلًا، سيكون الوضع ببساطة صادمًا، بلا رحمة، ولن تتعافى منه مُطلقًا، مثلما حدث مع مُديرين مُعيَّنين لشركات دبغ جلود حين كانوا أطفالًا أصابتهم تعاسة أن يَشهدوا فعلًا بشعًا: جريمة قتل، إجهاض، حريق في غرفة اللعب. لذا فإنني — وليقولوا فيما بعد أنني يُلاحَظ عليَّ اللامسئولية واللامبالاة فور أن أتجاوز الناصية البعيدة! — ظللتُ دائمًا أكِنُّ احترامًا وتقديرًا كبيرَين للأرقام، فمنذ خروجي من المدرسة قررتُ أن أترُكها في سلامٍ بقية حياتي.

XI

خطَّة

في بلدي لا توجَد جرائم كافية. مع الجوع الموجودِ ومع اقتصار استهلاك المُخدرات على المَصرفيين وزوجاتهم وأبنائهم، فإن كمية الجرائم تافهة في الحقيقة، مُثيرة للسخرية. لكن من المأمول أن تنجح الحكومة الجديدة في أن تُحفِّز، بشكل يبعث الأمل على الأقل، الاقتراف الدائم والمُمنهج للاغتيالات والهجمات والاغتصابات. وقد وصل إلى البلدِ قاتِل في الثامنة والعشرين، هو ابن غير شرعي لهمينجواي (نعم نعم لإرنست همينجواي، أعرف) ليُدير حملةً قومية بهذا المعنى. القتل أو اغتصاب عذراء من الطبقة الوسطى سيُكافأ بمجوهرات

ونقود. أما قتل امرأةٍ عجوز فسيُصنَّف كواجبٍ ولا يتضمَّن مكافأة. وبالنسبة لحالة الطفولة — بسبب العدد — سيكون المَيل إلى تشجيع الانتحار، بالنظر إلى المُناقشات الأولية بهذا الشأن. وحسب خطة لوبث هميندجواي — طبعًا مع ضمان نشر أساليب العنف الجديدة في كلِّ الأراضي القومية — فخلال أقل مِن عامَين سيكون بلدي مثاليًّا للزواج وإنجاب الأطفال، وكذلك لبدء البذار المُكثف لأصنافٍ جديدة مُعدَّلة مداريًّا مِن القمح.

XV

اعترافات

كان أعظم أحبابي في الحياة هم: أمي (مِن سن العامين ونصف حتى الآن)؛ مربِّيتي خينوبيبا (من سن العام ونصف حتى حوالي الثمانية أعوام، كما أفترض، حين ماتت، بفعل إيذاء اليتم القاسي اليافع والسرطان)؛ كرة القدم والعذراء مريم (من سن الحادية عشرة حتى الخمسة عشر عامًا) فتاة اسمُها جلاديس (من سن الخامسة عشرة حتى الخامسة عشرة وتسعة أشهر حين صادقَت على قرارها القديم بالزواج بآخَر، وهو ميل يتَّسم بانتهازية اليمين التي كنت قد حاربتها منذ تعارفنا)، البلياردو — لا لعبة الأهداف بل البوول — مجموع تلامذة دفعتي في مدرسة سان خوسيه الصباحية، البيرة ونوع من المحار الأسود المُسمَّى في السلفادور «قواقع الجحش» (من سن الخامسة عشرة وتسعة أشهُر حتى العشرين عامًا)، رغم أنَّني يَجِب أن أُبدي تحفُّظَين دائمَين: يظل موجودًا في روحي ستة وسبعون بالمائة من رفاق دفعتي الصباحية، ولا شكَّ في أنني، بالمنظور الذي يُذهِّب الحنين (أكتُب هذا في كاسكي بوديوفيتشي) أحبُّ حاليًّا، أكثر من أي وقتٍ مضى، بيأسٍ أصيل، قواقع الجحش؛ زوجتي، وأبنائي الثلاثة (في عراكٍ خلال بعض الوقت مع البلياردو، والبيرة، والقواقع، لكنهم، مُنتصرون بشكلٍ حاسم، إلى الآن وإلى الأبد)؛ **الثورة** والمفهوم المجرَّد **للشيوعية** (أيضًا في عراكٍ مع الغراميَّات السابقة، المُتعاركة في ذاتها، بين سن الثامنة عشرة والثالثة والعشرين عامًا (كما تعرف الشرطة) انضممتُ إلى الحزب الشيوعي في سنِّ الثانية والعشرين، لكنني أذكُر أنني سمحتُ لنفسي بنحو ثمانية أشهر بين اليوتوبيا، والحلم، وراحة الروح المسيحية)؛ فتاةٌ اسمها سيسيليا والشِّعر (من سنِّ الثالثة والعشرين حتى اليوم) وعاود العراكَ ضدَّهم المفهومُ العيني الذي لديَّ الآن عن الثورة والذي يُشبه كثيرًا ذلك الذي يتجسَّد في الثورة الكوبية (منذ سن السابعة والعشرين

عامًا المُكتمِلين في كوبا بالتأكيد). أعرف أنني كان يجِب أن أتحدَّث أيضًا عن أحبابي الذين يحملون اسم دالتون: أبي وشقيقتي. لكن، إلى أي مدًى كانا شيئًا آخر بخِلافي؟ إذا قُرئ كل ما سبق بعناية، يمكن أن يُفهم بوضوح أن أكثر مَن أحببتُه في الحياة هو أنا نفسي. لا أعترض على تلك النتيجة التي لا ترحم، كلمة شرف. وأكثر مِن ذلك: أعتقد أن كلَّ أحبابي أولئك يُمكنهم أن يشعُروا بالإطراء لأنَّ من أحبَّهم بكل تلك الكثافة كان أنانيًّا عظيمًا، ربما كان واحدًا من أعظمهم في هذا القرن المسكوني.

XVI

نقد للطبعة الأولى من كتابي دورُ المُهان (بتوقيع الاسم المُستعار «مشاهد» غير منشور حتى تاريخه، بفضل الحميَّة المناهضة للشيوعية للدون نابوليون بييرا التاميرانو، المدير المالك لصحيفة إل دياريو دي أوي، في سان سلفادور حيث كان النقد سيُنشر، لكن المدير المالك المذكور وجدَه تقريظيًّا بصورة خطيرة).

تلقَّينا كتاب القصائد دور المُهان، للمُنشد السلفادوري روكي دالتون جارثيا. ونعرِف مقدَّمًا بالرقة الرشيقة للأعمال السابقة لدالتون، كنَّا حذِرين. فقبل فتح الكتاب (الذي يحمل نقشًا لشخصٍ يُدعى ف. بلتران) غسلنا أيدِينا بصابون لايفبوي، وغسلنا أسناننا بالفرشاة وأجرَينا مضمضةً خفيفة حتى البلعوم (فنحن دائمًا نقرأ الشعر بصوتٍ عالٍ)، واضِعين لأنفسِنا تاليًا في كل ركنٍ للعين (بهدف تجنُّب الصدمة التي تحدُث حين تنطلِق من القطارة المُعلَّقة كسيف ديموقليس نحو حدقة العين المسكينة المفزوعة) نقطتَين من المُطهِّر المُنعش. وهكذا بإحساسٍ مُبرَّرٍ بالتطهُّر، أضأنا الأباجورة التي تتسيَّد ليالي طاولة الكتابة، مُتأهِّبين لقَطع الأوراق المُلتصقة بسكين أوراقٍ مِن العاج (نتذكَّر، عند إمعان التفكير الآن، أننا لم نعقِّمها بصورةٍ ملائمة) وللاشتباك، بشجاعة جهاز هضمي يعرف بقُرب فخذة خنزير على الفحم، مع المادة الوفيرة لهذا العنوان الجديد الذي يُثري قوائم الكتب التي ليست شديدة الازدهار في السلفادور. هذه العملية الأخيرة (الاشتباك بشجاعة) جاءت في أسرع وقتٍ وأسهله لِما جعلتنا استعداداتُنا نتوقَّعه: لم يكن لمجلَّد دالتون صفحات مُلتصقة، نتيجةً — كما نفهم — لضرورة توفير الورق الموجود في ظلِّ نظام كاسترو، مُموِّل الطبعة المذكورة آنفًا.

ما زال المؤلِّف شابًّا جدًّا. ورغم أننا لا نعرفه شخصيًّا، كما نعرفه، وهذا ملحوظ في القصيدة التقديمية، التي لا يبلُغ فيها الظلُّ البهي لكيبيدو حدَّ الانطفاء، في الشكل الذي قد

يكون مرغوبًا، تلك الومضة العدائية للَّامسئولية المرحة تقريبًا التي يروق لـ angry young men الكريول أن يرفعوها كرايةِ تباهٍ ضدَّ حس النظام الجدير لدَينا بالتقدير والبالِغ الكلفة. لا نتنبَّأ، إذا شِئنا الحقيقة، بمستقبلٍ مثمرٍ لدور المُهان ولا لمؤلِّفه. فبشكلٍ مُستقل عن الوقاحات والأشياء الأخرى الأسوأ — التي توقَّعها بالفعل القانون الجنائي القائم — التي تنتشِر في صفحات الكتاب، ثمَّة ذوق سقيم دائم وضياع للمنظور التناغُمي يبلغ …

منازل الجحيم الصغيرة

١٩٦٤-١٩٦٥م
سان سلفادور – مكسيكو – براج

(في عام ١٩٧٠م، نشرت دار نشر OCNOS ببرشلونة تحت عنوان منازل الجحيم الصغيرة، مُختارات موجزَة من قصائد المؤلِّف، تنتمِي في أغلبها إلى ديواني دور المهان والحانة ... ولم تنشُر قصائد منازل الجحيم الصغيرة ككتاب مُستقل بعض قصائد القسم الأول («الغبش») ظهرَت أولًا في الشهادات.)

(١) غبش العام

منتصف العمر

تنقضي سنواتُ الأسلوب المتوثِّب.
تنقضي السنوات التي تُنطَقُ فيها
كلمات مُعينة باحتقار:
الصنوبرات، الهرب، السوداوية، مثلًا.
تحمل عطشك أمام المرآة،
وتتساقط فوقك الأشواك:
لليقين رائحة عطنة،
أنتَ في النهاية السيد المُهذب الوحيد؛
الذي خشيتَ أن تكونَه، الذي أبعدتَهُ
من جانبك ببعض التهكُّم.

كنسيٌّ وصموت، إذا شاءوا،
أقلُّ ميلًا إلى الدموع، أشدُّ صلابة،
مِثل خبز الربِّ الطيب
بقدْر ما يبتعِد عن الفرن.

أوراق شجر

أوراق شجر ساقطة.
نِصالٌ بكماء لعدوانٍ رهيف.
ليس الخريف مَن يهزمكنَّ

أنتنَّ تلتهمنَ التربة،
تصنعن الطيور من لحمكنَّ الذهبي،
تحرقنَ فمَ الجليد
الذي سيموتُ بعدها يكسوه الدخان والفقاقيع.
نعتقِد أنَّنا نطأكنَّ،
وأنتنَّ في الحقيقة من تتحمَّلنَ
قامتنا البائسة.

لذا نكرهكنَّ كثيرًا مثلما نكرَه أبطالنا:
وعامًا بعد عامٍ نسلمكنَّ للحريق.
لكن، أي إساءةٍ بالغة يَعني لنا الربيع!

ها أنتِ ترَين كيف ...

ها أنتِ ترين كيف مِن كلِّ ما توقَّعتِ
أمس في لقاءات الكلية
أصبحتِ فحسْب الحبَّ الكبيرَ للمَنفيِّ.

أنتِ التي كنتِ ستذهبين مع أُمراء
الحفل إلى أوروبا وكنتِ ستَرِثين

ثلاثةً أو أربعةً مُبجَّلين عجائز.
أنتِ ذات السيارة المحسودة وبذلة الجلد الفوَّاحة،
أنتِ ذات الأساور الفضية الضخمة.
لكن قبل كل شيءٍ أنت ذات أجمل عينَين
في كل امتداد المدينة.
ها أنتِ الآن نائمة
بين ذراعَي الوحيد البائس.

أرى الصليب الصغير اللامع على صدرك،
وصورة ماركس على الحائط،
وأعتقد أن الحياة رغم كلِّ شيءٍ بالِغة الجمال.

أذكُر حين كنتُ أتحدَّثُ عن ليسا

سرتُ يومًا في شوارع فيينا،
فقيرًا كالصيف، كحقيبةٍ ضخمة بين أُخرَيات
حتى شارع الأمير إيوجين
فوق أرصفةٍ حكيمة تحت الإعلانات،
كتفي بكتِف واجهات المحلات،
نابتًا لأوروبا مثل كتلةِ طينٍ نائية،
جلبها أحد السيَّاح بهمَّة
من حجِّه الأخير.

حرك تشايكوفسكي مشاعري مثل إعجاز
(واضح أنني كنتُ بالِغ الحُمق والارتياح)
واستشعرتُ في كلِّ بابٍ طاهرٍ
شيئًا بمقدوره أن يَخفق راياتِ ترَفي.

الشيء الوحيد الذي يُصالحني الآن مع ذلك اليوم الحمضي
هو ذكرى شحَّاذٍ عجوزٍ نظر إليَّ وأنا أمرُّ

كما ينظُرُ إلى طفلٍ عارٍ،
وكان قد فاجأني قبلَها بلحظات
بأن نطق بصوتٍ عالٍ اسمَكِ.

الذاكرة

هكذا كانت أمسيات صِبانا الباكر؛
كنا نستمِع إلى «**الأوراق الميتة**» وMy Foolish Heart
أو «**دون كلامٍ في فندق الميناء**»
وكان لك اسمٌ واضح
يرنُّ رنينًا جميلًا جدًّا بصوتٍ خفيض،
وكنتُ أومن بآلهة آبائي القدماء،
وأحكي لك أكاذيب حلوة،
عن الحياة في البلاد البعيدة التي زُرتُها.

في ليالي السبت،
كنا نتمشَّى لمسافاتٍ طويلة فوق الرمل الرطب،
حافِيَين مُتشابكَي الأيدي في صمتٍ عميقٍ
لا يقطعه سوى الصيادِين في زوارِقِهم المُضاءة،
وهم يتمنَّون لنا السعادة صائحين.
بعدَها نعود إلى كوخ بيلي،
ونتناول كأسًا من الكونياك أمام اللهب،
ونحن جالسان على سجادة لورسات الصغيرة.
وبعدها أُقبِّل شَعرَكِ المحلول،
وأبدأ في التجوال فوق جسدكِ بهاتَين اليدَين الخبيرتَين
اللتين لم ترتعِشا قطُّ في الحُب أو في المعركة.

كان عُريكِ يبزُغ في ليلة المَخدع الصغيرة
من اللهب بين الأشياء الخشبية،
تحت المصباح المتهالك،

مثل زهرةٍ غريبة تحمِل كل الأمنيات،
ليُفجِمني دائمًا بالدهشة،
ويدعوني إلى اكتشافاتٍ جديدة.

وكان نَفَسُكِ ونَفَسي نهرَين متجاورَين،
وجلدُكِ وجلدي أرضَين ليس بينهما حدود،
وأنا فيكِ كالإعصار يلمس جذر البراكين،
وأنتِ لي كالزقاق المطير
أمام ضوء الشروق.

وتأتي لحظة لا تكونين فيها سوى البحر
البحر وحدَه بأسماكه وملحِه،
أمام عَطَشي بأسراره الحمراء المرجانية.
وكنتُ أشربُكِ بسخاءِ المُتَضَائل،
مرةً أخرى سرُّ كلِّ المياهِ مُجتَمِعةً
في الثقب الصغير الذي يحفرُه الطفلُ في الرمل.

أوَّاه يا حبي فها قد حانت بعد سنواتٍ قليلة الساعةُ
التي يبدأ فيها وجهك في الوهَن،
وتزداد ذاكرتي فراغًا منكِ.
كان اسمُكِ صغيرًا ويَظهرُ في إحدى أغنيات
ذلك الزمن.

(٢) منازل الجحيم الصغيرة

حذارِ

من قبلُ كنَّا نضحك كثيرًا،
والآن أودُّ أن أترُك الكلمات تسقُط
مثل مطرٍ مِن ارتفاعٍ ضخم.

ربما كان البردُ يجعلنا أعداءً،
لكنني أُقسم أن أنيابَه تبحثُ عن آخَرين.
أعترفُ أيضًا بتشوُّشاتٍ مُعينة،
لكنني واثق أنَّ مِن الأسوأ الهرب
أو الصمت.
لن تكون الكلمة وحدَها
ما يجب أن يُنقِذنا.

دعوني أحاول عزل الجمال
(رغم أن ذلك يبدو فظيعًا.)

الحانة وأماكن أخرى

١٩٦٦-١٩٦٧م
براج – هافانا

(طبعة أولى: دار الأمريكتَين، هافانا، ١٩٦٩م. جائزة دار الأمريكتَين، ١٩٦٩م.)

عزيزي خورخي

لقد وصلَت إلى الثورة عن طريق الشِّعر.
سيكون بإمكانك أن تصِل (إذا شئتَ، إذا شعرت بالحاجة لذلك) إلى الشِّعر عن طريق الثورة. ولك بذلك ميزة. لكن تَذكَّر أنك لو كنتَ قد وجدتَ ذات مرةٍ دافعًا خاصًّا للابتهاج بصُحبتي في النضال، فبعض الفضل في ذلك يعود أيضًا إلى الشِّعر.

(١) البلد

٢٧ عامًا

إنه لشيء خطير
أن يبلُغ المرء السابعة والعشرين.
إنه حقًّا لواحدٌ
مِن أخطر الأشياء؛
فحَول المرء يموتُ أصدقاء
الطفولة الغريقة،

ويبدأ المرءُ يشكُّ
في خلوده.

استراحة المُحارب

الموتى يُصبحون كلَّ يومٍ أصعبَ مراسًا.
من قبل كان أمرُهم سهلًا:
كنَّا نمنحهم ياقةً مُنشَّاةً أو زهرةً،
نلهج بأسمائهم في قائمة طويلة:
إنَّ ساحات الوطن،
إنَّ الظلال النبيلة،
إنَّ المرمر الوحشي.
كانت الجنَّةُ تُوقِّع في أعقاب الذاكرة،
وتمضي من جديدٍ إلى الطابور،
لتسير على إيقاع موسيقانا القديمة.

لكن مهلًا!
فالمَوتى
قد تغيَّروا منذُ ذلك الحين.

اليوم يتهكَّمون،
ويسألون.

يبدو لي أنهم يُدركون
أنهم تدريجيًّا، يُصبحون هم الأغلبية!

النقمة الكبرى

يا وطني أنتَ غير موجود؛
فلستَ سوى ظلٍّ سيئٍ لي،
كلمة للعدو صدَّقتُها.

من قبلُ اعتقدتُ فقط أنكَ بالغُ الصِّغَر،
بحيث لا تبلُغ في النهاية حدَّ أن يكون لك
شمالٌ وجنوب.
لكنني الآن أعرفُ أنكَ غير موجود.
كذلك يبدو أن أحدًا لا يحتاجك؛
فلا تُسمَعُ قطُّ أُمٌّ تتحدثُ عنك.

وهذا يُبْهجني،
لأنه يُثبِتُ أنَّني اخترعتُ لنفسي وطنًا،
ولو أدَّى بي ذلك إلى مستشفى المجانين.
إنني إذَن إلهٌ صغير على حسابك
(أود أن أقول: لأنني مَنفي عن الوطن،
فإنك وطن سابق.)[١]

روح الأمة

أيُّها الوطن المُبعثر: تسقُط
كقرصٍ من السُّمِّ في ساعاتي.
من أنتِ، أيتها البلاد المأهولة بالأسياد،
مثل الكلبة التي تهرُشُ بجوار نفس الأشجار
التي تبول عليها؟ مَن الذي تحمَّل رموزك،
إيماءاتكِ التي لِعذراء برائحة الماهوجني،
بينما تعرفين أنكِ قد أَغرقكِ لُعاب الفسق؟
مَن ذا الذي لم يسأم ضآلتك؟
مَن لا زلتِ تُقنعينَه بالضريبة والحراسة؟
ما اسمُك، نعم، أيَّتُها المُمزقة،

[١] التلاعُب بالألفاظ هنا بين expatriado: أي مَنفِي عن وطنِه وبين ex patria: أي وطن سابق.

أأنتِ كلُّ الحظ المُعذَّب في البِرَكِ الموحِلة؟
من أنتِ،
سوى هذا القرد المُسلح والمُرقَّم.
راعي المفاتيح والكراهية، الذي يُضيء وجهي؟
لقد اكتفيتُ منكِ، يا أُمِّي
الجميلة النائمة، يا مَن تجعلين ليلَ السجون يفوح بالعطن:
الآن يتآكلني صدأ واجبات الحراسة
التي تجعل من الابن الصالح فارًّا،
من الطاووس المُختال مؤرَّقًا بائسًا،
من خُبز الربِّ مهاجمًا جائعًا.

الإصلاحية المركزية، أكتوبر ١٩٦٠م

مع الـ ٦٠ في المائة من السلفادوريين

بمائة وأربعين ألف دولار،
يُمكنك أن تهرش ظهرك،
بتمثال Bird in space، لبرانكوزي.

بسبعة عشر دولارًا فقط،
تتلقى لاثنَي عشر شهرًا،
مجلة **فورتشون**.

إذا كنت أدنى درجةً تكسب بالكاد
٥٥ دولارًا في العام:
تكون قيمة فنِّ النحت الحديث
مسألةً غير محسومة،
ومجلة **فورتشون**
تظهر فقط بالإنجليزية،
فلماذا إذن تُضايق نفسَكَ؟

فليستمر معك الربيع الأبدي، يا مواطن.
أبطال أمريكا الوسطى (الشباب) في كرة القدم!

منظمة الدول الأمريكية

رئيس بلدي
يُدعى يومًا بيومٍ الكولونيل فيديل سانشث إرناندث،
لكن الجنرال سوموثا، رئيس نيكاراجوا،
هو أيضًا رئيس بلدي.
والجنرال ستروِيسنر، رئيس الباراجواي،
هو أيضًا رئيس بلدي قليلًا، لكن أقل
من رئيس هندوراس أو بالأحرى،
الجنرال لوبث أربيانو، وأكثر من رئيس هايتي،
مسيو دوفالييه.
ورئيس الولايات المتحدة،
رئيس أكثر لبلدي،
من ذلك الذي، كما قلتُ، يدعى،
يومًا بيومٍ، الكولونيل سانشث إرناندث.

بحثًا عن المتاعب

أمطرَت ليلة أول اجتماعٍ لي في الخلية.
امتدحَت أربع أو خمس شخصياتٍ
من عالم جويا طريقَتي في التفصُّدِ عرقًا.
بدا أن الجميع هناك ينتابُهم سأم خفيف؛
ربما من الاضطهاد أو حتى التعذيب
الذي يحلمون به يوميًّا.

أظهر مؤسِّسو اتحاداتٍ وإضراباتٍ
بعضَ الحنَق وقالوا إنني يجِب

أن أختار اسمًا حركيًّا؛
أنَّني سيكون عليَّ أن أدفع خمسة بيسو شهريًّا،
أن موعدنا كلَّ أربعاء،
وكيف تمضي دراستي،
وأننا اليوم سنقرأ كتيبًا للينين،
وأنه ليس ضروريًّا أن أظلَّ أُردد كلمة رفيق.

حين خرجنا كان المَطر قد توقَّف،
وتشاجرَت معي أُمي لأنني عدتُ إلى المنزل متأخرًا.

(٣) البلد

قصائد السجن الأخير

I

السجن من جديد، فاكهة سوداء.

في شوارع وغُرف البشر، سيشكو شخص في هذه اللحظات من الحب، سيعزف موسيقى أو يقرأ أخبار معركةٍ تجري تحت ليل آسيا. وفي الأنهار، ستُغني الأسماك عدم تصديقها بشأن البحر، الحلم المستحيل، الهناءة المُفرطة. (أتحدث عن تلك الأسماك الزرقاء في الحقيقة المُسمَّاة السَّوسنات السوداء، التي يَستخلِص من أشواكها رجال عنيفون وسريعون عطورًا تدوم طويلًا.)

وفي أي مكانٍ، ستكون آخرُ الأشياء الغارقة أو المُعلقة سجينةً أقل منِّي.

(واضح، أن امتلاك قطعة قلم رصاص وورقة — والشِّعر — يُثبت أن مفهومًا كونيًّا فخورًا، وُلد ليُكتب بحروف كبيرة — **الحقيقة**، **الرب**، **المجهول** — قد غمرَني منذ يومٍ سعيد، وأنني لم أسقط — عند القيام به في هذا الجبِّ المُظلم — سوى في أيدي الفرصة، كي أُبرهن عليه كما يجب أمام البشر.

ورغم ذلك، كنتُ أفضِّلُ تمشيةً طيبة في الريف. ولو بدون كلب.)

٩ سبتمبر

IV

ليل

العمى: هو أول كلمة تخطُر على ذهنك.

V

العيد الوطني

اليوم كان العيد الوطني: استيقظتُ شِبه مُحطَّم فوق الأرض الرطبة الجارحة مِثل فم ذئبٍ ميت، بين الغازات المُسكِرة للأناشيد.

١٥ سبتمبر

VI

الصيف

أُحِسُّ بحروق
الصيف الذي ينمو:
(«أنا ميناءٌ ناءٍ»)
سموم الزواحف
تُنضِجُ قانونها السرِّي،
ويَثْقُلُ
دمُ الأشياء.
الحرَّاس يتحدَّثون عن النساء،
يُزَيِّتون غدَّاراتهم الداكنة،
يُغنُّون ...
وأنا
أبدأ في الامتلاء بالقمل.

١٨ سبتمبر

VII

صحبتك

حين يسقط الليل، وفاترًا
يُقارِبني نوع مِن السلام،
فذكراكِ خُبز بذار، خيط باطني،
به تكون يداي الهادئتان
واقيتَين لقلبي.

قد أقول لنفسي: ما جدوى الزبد، أو التراب
للأعمى البعيد؟

لكن وحشتكِ هي ما يعمُرُ لياليَّ،
ما لا يتركني وحيدًا، على وشْك الموت.
إننا بصورةٍ ما حشد صامت ...

IX

خبرٌ سيئ في قصاصة صحيفة

اليوم حين يموتُ منِّي الأصدقاء،
تموت أسماؤهم فحسب.

كيف نأمُل من البئر العنيفة،
أن نُحيط بأكثر مِن حروف الطباعة،
وميض الاسودادات الرهيفة،
السهام التي تبلغ الذكريات الحميمة؟

وحدَه من يحيا خارج السجون،
يُمكنه أن يُكرم الجثث، أن يغتسل
من ألم موتاه بالعناقات،
أن يخدش بالأظافر والدموع شواهد القبور.

لكن ليس المساجين: نحن نُصفِّر فحسب،
حتى يُخرسَ الصدى الخبر.

X

إذنٌ للاغتسال

لم أفهم أبدًا ما تعنيه متاهة
حتى نَقَّبتُ، وجهًا لوجه مع صورتي
الجانبية، في المرآة الصباحية
التي أغسل بها التراب وأتجهَّز.

لأننا هنا أكثر ممَّا كنَّاه
على ضفة الشمس المُجنحة والسامية:
مُسربلون جيدًا بالدم والقضبان والجدران؛
أبناء محبوبون للصدأ والأبخرة والجرذان.

XI

بعض ضروب الحنين

امتياز مُتكلِّس هذا العناء الفخور،
لا تضحكوا.

أنا، مَن أحببتُ حتى عطشتُ للماء، للضوء القذر؛
أنا، مَن نسيتُ الأسماء لا صنوف الرطوبة،
يُمكن أن أموت الآن بحماسٍ مِن أجل كلمة العزاء الصغيرة لملاك،
من أجل العطايا الغنائية لخفَّاش حزين،
من أجل خُبز السِّحر الذي قد يقذفه لي ساحر
متخفٍّ في هيئة مُجرم سكران في الزنزانة المجاورة ...

١٤ اكتوبر

XII

رقم ٣٥٧

ينقسم الحرَّاس إلى عدَّة مجموعات. مجموعة من يقذفون بالطوب الأرانب وهي تجري من الحديقة وزهرات الأقحوان في أفواهها، مثلًا. ومجموعة من يسيرون مُتقافزين أمام زنزانتي، صائحين بكلمات ريفية وناظِرين في ساعاتهم إلى زبد المطر. ومجموعة من يتبوَّلون عند الفجر في الموعد الذي يوقِظونني فيه (بضوء مصابيحهم يلعَق وجهي) ويقولون لي مُتجهِّمين إن الجو اليوم أشدُّ برودة. لكن لا ينتمي إلى أيٍّ من هذه المجموعات الجندي رقم ٣٥٧ الذي كان راعيًا وموسيقيًّا وأصبح الآن شرطيًّا بسبب انتقامٍ غير واضح على الإطلاق والذي (أعني رقم ٣٥٧) سيفصلونه نهاية هذا الشهر. كل هذا لأنه هرب ذات ليلةٍ وذهب لينام مع امرأته حتى التاسعة صباحًا، مستهزئًا بالتعليمات. منذ أيامٍ أهداني رقم ٣٥٧ سيجارةً. وأمس، بينما ينظرُ إليَّ وأنا أمضغ ورقة ينسون طويلة (أفلحتُ في جذبِها قُرب القضبان بعصًا ذات خُطَّاف صنعتُها بنفسي)، سألني عن كوبا. واليوم ألمح إلى أنَّني ربما استطعتُ كتابة قصيدةٍ صغيرة من أجله — تتحدَّث عن جبال تشالاتينانجو — ليحتفِظ بها كتذكارٍ بعد أن يقتلوني.

قصائد نثرية

الحكاية

كُتب في براج

صباح أن تعرَّفتُ على أبي
... ذلك الأبُ الذي لن أقول عنه شيئًا الذي لديَّ منه بالكاد تلك الطريقة في إمالة الرأس ...

أراجون

أحسبُ أن عمري لا بد أن يكون حوالي ثلاث سنوات، وربما أقل قليلًا. ها أنا جالس على أرضٍ رطبة من السيراميك، بالبيجاما لأن مَعِدتي تؤلِمني بعض الشيء، ألعب بمشبكٍ له رأس امرأة، أقتلُ النمل وأدفنه بالكاد بالتراب الذي أُخرِجه من شقوق الأرضية. في العمق

ثمَّة فناء بأشجارٍ ونباتات مُزهرة والهواء مُنعش متألِّق وصباحي له رائحةٌ لا تُنسى، عاودتُ التعرُّف عليه أحيانًا في أنحاء مختلفة من العالم بتنوُّع في المشاعر حسب المآزق الحاضرة في حياتي. أرى فيديليا، لا بيي la pille تُنظف بخرقةٍ مُتسخة اللوحاتِ على الحائط: نسخة من الأنجيلوس، ومناظر وطبيعة صامتة مطبوعة على ورقٍ ومُشتراة من محلِّ جولدتري ليبس. كانت لا بيي عجوزًا بالفعل رأسها أقل رماديةً مما بعد سنوات، لكنها، مع ذلك، رمادية، رمادية جدًّا، تحملُ بصبرٍ وجهها، وجه رجل، وجه رجلٍ في المقام الأول بسبب فتحتي الخيشوم الكبيرتَين وباستثناء المِنقار الصغير الذي تُشكِّله الشفة العُليا في ذروتها. عند ذلك يُطرَقُ الباب وتذهب لا بيي لتفتح، تاركةً المِنفضة على طاولة صغيرة ومُنظِّفةً التراب مِن يدَيها في مِئزرها الداكن الضخم. تفتح باب الغرفة المجاورة، التي تفتح على الشارع فأسمع صوتًا غريبًا لرجلٍ يسأل عن أُمي ولا بيي تضحك وتُنادي القدِّيس سان كابيتانو المبارك قبل أن تُجيب بأن أُمي تعمل مع حالةٍ عاجلة لتربنةٍ في المخ لدى الدكتور ثيبيدا ماجانيا، لكن تفضَّل بالدخول يُمكنك تناول ولو فنجان قهوة اعذرنا على لخبطة البيت وبذلك، يُمكنك أن ترى الطفل ولو لبرهةٍ، وأنه لو أرادَ يُمكنها أن تذهب بالسيارة لتبحَث عن ماريا في المُستشفى التخصُّصي وأنه في نهاية المطاف إذا كان المريض سيموتُ فسوف يموت بمُمرضة خاصة أو بدون مُمرضة خاصة. في هذه اللحظة بالضبط تقرصني نملةٌ لعينة في إصبعي فأُطلق صرخةً مُدوِّية، كأنني أطلب جمهورًا، ودون حتى أن أتخلَّص من الحشرة كما كنتُ أعرف بالطبع (بأن أُخربشها بأظافري وأسحقها على لحمي أو على الأرض). يأخُذني شخص من ذراعي ويرفعني عن الأرض بينما يتفحَّصني ويسألني ماذا جرى لي، وأُجيب أنا عارضًا إصبعي المَثنِي حيث لا زالت النملة تعضُّ بغضب، رافعةً بطنها الضئيل حتى السماء الواطئة. عندئذٍ انتَبِه إلى أن لا بيي هي مَن رفعتني وأنها بعد أن نزعت عنِّي النملة تعرضُني، كما يجري مع دجاجةٍ للبيع أو مع خنزير رضيع، على الرجل الذي كانت تتحدَّث معه والذي وصل إلى الداخل هنا بهدوءٍ فرضَ نفسه عليَّ على الفور. أقتصر أنا على فتح عينَيَّ وتُناولني لا فيديليا أكثر، عارضةً إيَّاي ليُقبِّلني. يفعل الرجل فتُشوِّكني احتكاكة خدِّه الأزرق فأتراجَع وأبحث عن كتِف لا بيي لأتشعلق وأُخبِّئ وجهي. تقول لا بيي إن هذا السيد هو أبي ويجب أن أُقبِّله، لكنَّني أستعبِط وأُقرر البقاء هناك، مثل دودة حرير أفزعَتها أول نظرةٍ إلى العالم. أشعر بأن السيد يُربِّت على مؤخرتي تربيتةً خفيفة، ويُمرِّر يدًا على شعري، شعري الجميل الأشقر حينئذٍ الذي كان أمَل أُمي حتى

أتميَّز طول حياتي ككائنٍ مُتفوِّق بين حشد الشُّعور السلفادورية المُشعَّثة والخشنة؛ ثم ينزع جورب قدمي اليمني يُعرِّيها ويأخذها في يده الضخمة والقوية ويضغط عليها لكن دون أن يُسبب لي أَلَمًا، بل أشعرُ بدغدغاتٍ فاترة تقول لي إن السيد ليس بجرأة كلِّ الكبار باستثناء أُمي ولا بيي ... بعدها يشرعان في الحديث عن أشياء لا أفهمها. من يتحدَّث أكثر هي لا بيي متراوحةً بين البهجة المُتفجِّرة ودموع المهانة، ولا يُجيب السيد سوى بكلماتٍ قصيرة وغمغمات. وبعد برهة يقول إنه يجِب أن ينصرف. تضَعُني لا بيي على الأريكة فأبقى هناك هادئًا جدًّا ومُتجهمًا. يُدخن السيد وكأنه يُفكر، وينثر رماد السيجارة على الأرض. يُعاود الاقتراب مني ويُربِّت وجهي بأصابعه قبل أن يتوجَّه من جديدٍ نحو الشارع تسبقه فيديليا، التي، بعد تكرار عبارة بارك - الله - لي - فيه بحرارة عدة مراتٍ وبعد ضوضاء الباب عند الانغلاق، تعود إليَّ أشدَّ ابتهاجًا من أي وقتٍ مضى وهي تقول أشياء كمدفعٍ رشاش وتُريني ظرفًا شديد البياض تُخرج منه حفنةً من أوراق النقد تبدأ في عدِّها مُبلِّلةً أصابعها باللعاب بالضبط مثلما ستقول أُمي أننا لا يجب أن نفعل أبدًا. وفي الشارع تبدأ سيارة جشَّاء في السير.

الشاي

(صورة ثابتة)

كروث تشيجويتشون، المجنونُ الميِّت من البرد، الشديد الفقر، الأُمِّيُّ منذ مولده مثل كل أبناء الريف، المُلتفُّ في جوالٍ من الجوت يوزِّع أوراق اللعب فوق المفرش الرقيق من المخمل الأخضر. أوراق لعبٍ إنجليزية، مِن تنويعة جديدة من البلاستيك الخفيف، رائعة. إنيكون يُقدم الشاي، على الطاولة المجاورة، بذراعه الوحيدة (الذراع الأخرى انتزعَها بضربات الساطور شقيقُه ذاته، في الفصل الختامي لفترةٍ مُمتدة من شُرب الروم القوي)، لكنه يُحيط عمله بقدْرٍ مِن الرشاقة والعناية المُحبَّة، يدفعان المرء إلى السُّعال لتجنُّب أن تنفجر دموعُ البهجة الرقيقة مُمتنَّةً في النظرة المُدقِّقة. وكان كاسيانو، «الحلُّوف»، قد وضع قبل دقائق ملاعق الشاي الفضية ومفارش الكتان الرقيقة المربوطة بعذوبة بأغصان ياسمين صغيرة مُكوَّرة أطلقت أبخرة خُيلائها الحليبية بين النسيم الذي يُدوِّم برقةٍ، دون أن يخرج، في الفناء الصغير الداكن. ترتجف أقداح كارلوفي فاري الخزفية عند تلقِّي السائل؛ تكاد

تُغنِّي، بأصواتٍ ضئيلة مختنِقة، كأنها قادمة من حنجرة أشباح يائسة ومريضة بالخُنَّاق، لكنها على الفور تكرس نفسها للتخلُّص من الحرارة المُفرطة التي يمكن أن تلسع أطراف أصابع الشاربين: معجزات رهافة الحِرفة اليدوية لشرق أوروبا. إنيكون، كما هي عادته، عارٍ تمامًا، وجلد ظهره مائل إلى الرمادي نتيجةَ نومِه اليومي على أرضية الزنزانة المُترِبة، وما بين فخذَيه شديد القذارة، والشَّعر الطويل بلَون القشِّ مُشتبك مثل أرض لقالق في نهاية صيف قائظ. وحدَها القُرحة التي لا توصَف في فخذه اليسرى مُغطَّاة جزئيًّا بالشاش واللاصق. في معصمَيه وكاحلَيه فقط تُشكِّل حواف الأصفاد واحةً من الجلد النظيف واللامع. وبعد ملء الأقداح والإشارة إلى الحلوى الفرنسية بإيماءةٍ راقية من يده اليسرى، مُبتسمًا، كأنما يتملكه خُبث-معرفة مكبوتٌ جيدًا، يتراجع إنيكون بخطواتٍ قصيرة متقافزًا، مُحوِّلًا نفسَهُ بنفسه إلى توكيدٍ لسطحية كل جرسونات العالم. يتناول اللاعبون مكعباتٍ مِن السُّكَّر ويتركونها تذوب بينما يفحصون احتمالاتهم في المروحة العابرة الغامضة لأوراق اللعب. المُراهنة بنقودٍ ممنوعةٌ حسبُّ القواعد المنظِّمة للمكان لكن رغم ذلك، فإن البوكر هو البوكر: شغل شاغل لسادة مُهذَّبين أصيلين، لا يُستنفد بكامل احتمالاته إلَّا في أجواء تنافسٍ أرستوقراطي. ورغم سماع الحديث عن إجراءات منع ومعاقبة عنيفة بشأنه، يتم تداوُله كما كان بواسطة الناس العاديين اليوميِّين. يطلُب تيموتيو المُرتجف أوراق لعب. وحين يتلقَّاها، ومِن أجل تخفيف ثِقَل معرفة مصيره المباشر، يخلِطُها بصورةٍ متوترة ومؤلِمة، ويطلق تعليقًا لا صِلة له بالأمر على الإطلاق، عن صِلةٍ غامضة مُعينة بين نصوص البحر الميت وبين بيت شعرٍ مُنتزَع من سياقه مِن [ملحمة] جلجامش، القصيدة التي يستطيع تيموتيو بالتأكيد أن يُكررها بكاملها من الذاكرة، على الأقل في طبعاتها الإسبانية، والألمانية، والفنلندية. لن يخرج تيموتيو أبدًا من هذا المكان، رغم أن عمليات التربنة، الأربعة والصدمات الكهربائية الدائمة تدفع إلى التفكير في عمليةٍ يمكن أن تؤدِّي، إذا كانت سعيدة، إلى الشفاء الكافي على الأقل لتمشيات الشارع. فرجل مِثله، أكلَ عيون زوجته وثلاثة أبناء، كان — يجب أن نعترف - قد قتلَهم يوم اثنينٍ سابق، لن يُمكنه بصعوبة تفعيل مبادرة أي شخصٍ على الإطلاق من أجل استعادة حُريته. لن أحكُم على النوعية الأخلاقية لهذا الوضع المُغلق: فأنا روح عجوز، مُعتاد على تركهم يُقنعونني — ليس بلا مرارة، بالتأكيد — بملاءمة أشكال ظلمٍ مُعينة واضحة. ورغم ذلك، أعتقد أن تيموتيو لم يتلقَّ هِبات الحضارة التي نتفاخر بها في لقاءات مساءات أيام السبت: ابنًا للُّصوص تربَّى بين الإصلاحيات

والمواخير، لم يذهب أبدًا إلى المدرسة (تعلَّم القراءة مُضطرًّا بضرورة فك شفرة عناوين الصحف التي يبيعها صائحًا)، ولم يملك أبدًا شيئًا وفيرًا إلى حدٍّ أن يُطلَق عليه أنه يخصُّه. في النهاية، تعرفون حضراتكم جميعًا ما لا نهاية له من الحالات المُمَاثلة، وإذا كنتم على نقيض ذلك فسوف يُفيدكم الاندراج في أحد مُقرَّرات السوسيولوجيا، من تلك المُقررات المتوافرة تمامًا والتي تمنح شهاداتٍ جميلة مُذهَّبة. الوضع المختلف هو وضع صامويليتو، الأحول، الذي، خارَج الشاي بالبسكويت والحلوى، لا يقبلُ سوى ابتلاع الجرذان المُتعفِّنة، والذي، في هذه اللحظة، يُلقِي على الطاولة أوراقه، طالبًا العفو بجرعةٍ مُعينة من الضيق لم يُحالفه الحظ في توزيع الأوراق الأول، ويعتقد أنه ليس من التعقُّل أن يُصِر. يرتدي بذلةً من نسيج القنب بالكروشيه صُنعت خلال ١٧ عامًا من الجهد اليومي، وكما يتولَّى من حينٍ لآخر تذكير رفاقه، فإنه يعتقد أن كل صناعة الموضة الدولية ليست سوى تجسيد مَقصِدِ **قوى الشر** بهدف التسبُّب في ضياع روحه، بإغراء خُيلائه الشخصية الهائلة. ومن أجل الدفاع عن اتحاده مع الرب، أقسم صامويليتو ألَّا يشتري لنفسه أبدًا، أي ثيابٍ رجالية أو نسائية، وألَّا يستخدم ولو للحظة أيةً قطعة ثيابٍ لا يكون قد صنعها هو نفسه بكامِلها. ونظرًا لنقص مُسوح الزهَّاد، أو أجولة الرماد المُتعارَف عليها (والتي على الأقل، ستكون في حالته شيئًا يُقارب بشدةٍ المَعنى المُعاكس)، يستخدِم صامويليتو مجلَّة فوج التي هو مُشتَرِكَ قديم فيها، وأعدادها التي تصِله شهريًّا، يقرؤها ويتأمَّلها غارقًا في العرَق طوال أيامٍ بأكملها، مِن الأفضل خلالها عدم محاولة إقامة أية مُحادثة معه. ففي تلك الأيام يُصبح شخصًا لا يُطاق: يبلغ المرء حدَّ الاعتقاد بأنه إذا لم يكن قد جُنَّ بمزاجه، فذلك كي يُضايق الآخرين، ولنقص الشجاعة الدنيا التي تجعله يتحوَّل إلى مُصمِّم موضة أو مُخنَّثٍ أو رئيس خيَّاطين. حين قُلنا منذ برهةٍ إن وضْع صامويليتو في لعب البوكر مُختلف، فعلْنا ذلك بوعيٍّ كامل: فهو كقاعدة عامة، فورَ أن يتلقَّى أوراق اللعب ينهمِك في وضعها على المِفرش مفتوحةً أمام أعيُن اللاعبين الآخرين، بصورة فاحشة، حتى يعلَم الجميع كيف تجري الأمور. لهذا السبب لا يكسِب صامويليتو دورًا منذ سبع سنوات: الإنسانية، الإنسانية المجنونة ناكرةٌ للجميل. لكنه لم يتخلَّ أبدًا عن طلب توزيع الأوراق الثاني، كما فعل اليوم، فهذا الامتناع خطير في الحقيقة، ويُعادل رُعب الخفَّة الذي يمكن أن يكون قد وقع فيه **مُخلِّص** البشر إذا كان في عزِّ ظهيرة يوم موته الرهيب، قد طلب كوكاكولا. لماذا فعل صامويليتو شيئًا كهذا؟ يجب افتراض أننا سنعرف يومًا ما. وفي هذه الأثناء، لِنَقُل إن مينجو تشينتشينتورو يُكمِل

المجموعة. جُنَّ مينجو من الشعار حين جعلت صلعته السابقة لأوانها زوجتَه تسقُط بين ذراعَي شاعِرٍ ذي ضفائر سوداء معقوصة رائعة كان يحيا في جوار ذلك المَسكن الذي كان صخريًّا حتى ذلك الحين. بعدها قتل مينجو مُمرِّضَين لهما شَعر كثيف، ممَّا أسَّس في هذا المكان تقاليد قَصَّة شعر «حرس الهجوم» الإجبارية بين صفوف المُستخدَمين والمُتعاونين. نشاطه الاجتماعي الوحيد هو لعب البوكر ساعة الشاي وذلك، بين أشياء أخرى، لأنَّ اللاعبين الآخرين أقوى منه بدنيًّا. ولو لم يكن الأمر كذلك، لكان مينجو المسكين في العزلة الدائمة الأثقل أصفادًا، يُطلق الهرطقات ضد مذهب كتابة السوناتا كنوعٍ أدبي وكتوجُّه أساسي تجاه الحياة، وضد اللسعة الجنسية المسائية التي تُصيب الزوجات الضجِرات حين يتركهنَّ أزواجهنَّ الصُّلع الصغار يتناولنَ غداءهنَّ وحيداتٍ لأكثر من أسبوع. جنون بديهي جنون مينجو، ليس شديد الأدبية لكنه شديد القوة، قادِر حتى على جعْل روحٍ مخلصة تضلُّ إلى حدِّ القتل. أود القول، حتى أتدخَّلَ لأول مرةٍ بمثالٍ على المشاعر الكاثوليكية التي ما زالت باقية لديَّ، أن الحياة على هذا النحو، أن ما هو يومي يُمكن أن يكون وحشيًّا، أن وجود آيس كريم بالفراولة بقدْرٍ ليس غامضًا بالضرورة يعتمدُ على أن يكون تيرانوصور ركس قد مَصمص مرةً الكبد الضخم لديناصورٍ غافٍ مُتثاقل، في أعقاب معركةٍ لا مثيلَ لها (إذا أمكن ذلك) تدوم ثلاث ساعات أو أربعًا مِن الساعات الحالية. على نقيض صامويليتو، فإن مينجو في البوكر فائز دائم. فلمَّا كان، حين يخسر، يحاول في أغلب المرات أن يقتل أحدًا، مما يُطيحُ بالجوِّ الإنجليزي للمكان الذي كلَّف تنظيمُه كل تلك السنوات مِن التربية البطيئة وكل تلك الكمية الهائلة من الممارسة المِهنية والصبر، فإن الإدارة تقدِّمُ جوائز وتعويضات خفيَّة لرفاقه اليومِيِّين حتى لا يشحذوا أكثر مما يجب استراتيجياتهم وتكتيكاتهم ضد مينجو. تستغلُّ فيهم ميلَهم الواضح للشفقة وولعَهم بالمؤامرات. هذا كله، علاوةً على الحظِّ الطيب غير المعهود لمينجو في ألعاب الورق، أثمر نتائج مُمتازة. بالطبع، يتنَهَّد المرء تحسُّرًا على العفوية المنشودة، ويتألَّم من افتقاد السحر، لكنه ينتهي بالموافقة — ودون اللجوء، بالتأكيد، إلى التعقُّل الرجعي — على أن النظام أيضًا له مَزاياه. فلنُلقِ نظرةً إذن على فرنسا الخالدة: الأمر فظيع! إلى هنا ينتهي الوصف. فلا تُهمنا الشاشة الطوباوية الكلية، التمثيل المزعوم للواقع الذي يظهر فيه بطل رواية عن السجناء مُصوَّرًا في صفحات مُجلَّدٍ يفوح برائحة البول والطعام البارد المُتحلِّل. نُلاحق فقط تثبيت لحظةٍ — مُحتفِظين لها كذلك ببعضٍ من اختلاجاتها الصغيرة — كي تستخدِمها السوداوية المُستقبلية: النظرية العامة

للفوتوغرافيا من أجل التذكار.[٢] علاوة على ذلك، وبالنسبة للمُمرضين الأفضل تفكيرًا، فإن ذلك مسألة كلِّ يوم، اللعنة. ويجب فَهم أنه، حتى الأرواح المُحِبَّةِ لتلك المتاهات التي بلا حلٍّ على أساس التكرار الخالص والاستمرارية، تستحق أن تُخرج مقعدها الوثير إلى الهواء الطلق في بعض الأمسيات، وتفرد صحيفتها، وتتأهَّب لوجبةٍ دسمة في السحر لا يمكن حتى للبابا المُقدس أن يُنكرها عليها دون أن يكسو نفسه بالبراز بصورةٍ حاسمة.

حول الصداع

جميل أن يكون المرء شيوعيًّا،
ولو سبب ذلك الكثير من الصداع.

وصداع الشيوعيين
يُفترَض أنه تاريخي، أي
لا يكفُّ بالأقراص المُسكِّنة،
بل فقط بتحقيق الجنَّة على الأرض.
هكذا الأمر.
في ظلِّ الرأسمالية تؤلِمنا رءوسنا،
وينزعون رءوسنا.
وفي النضال من أجل الثورة يُصبح الرأس قنبلة موقوتة.

في البناء الاشتراكي
نُخطط الصداع؛
ممَّا لا يجعله يندُر، بل على العكس تمامًا.

الشيوعية ستكون بين أشياء أخرى،
قُرص أسبيرين في حجم الشمس.

[٢] guardapelo دلَّاية أو عليقة: علبة معدنية صغيرة نفيسة تحتوي على تذكارٍ كرسم شخصٍ أو خصلةٍ من شَعره، يُدلِّيها المرء من قلادةٍ أو سلسلة.

مراجعة

ليس دائمًا.
لأنه،
مثلًا،
في ماكاو،
الأفيون
هو أفيون الشعب.

أقوال

«الماركسية-اللينينية هي حَجرٌ
لتحطيم رأس الإمبريالية
والبورجوازية.»

«لا. الماركسية-اللينينية هي شريط المطَّاط
الذي يُقذَفُ به ذلك الحجر.»
«لا، لا. الماركسية-اللينينية هي الفكرة
التي تُحرك الذراع،
التي تجذب بدَورها شريط المطَّاط
للنبلة التي تقذِف ذلك الحجَر.»

«الماركسية-اللينينية هي السيف
لقطع يدَي الإمبريالية.»

«مهلًا! فالماركسية-اللينينية هي نظرية
عملِ طلاء أظافر للإمبريالية،
بينما يجري تَحيُّن الفرصة لتقييدِ يدَيها.»

ماذا أفعل إذا كنتُ قد قضيتُ عمري
أقرأ الماركسية-اللينينية،
وحين كبرت نسيتُ

أنَّ جيوبي مليئة بالأحجار،
وبِجَيبي الخلفي نبلة،
وأن باستطاعتي حقًّا الحصول على سيف،
وأنني لا أُطيق البقاء خمس دقائق
في صالون تجميل؟

الحُب يضربني أسوأ مِن الربيع

١٩٦٩–١٩٧٣م
هافانا

الحُب

الحُب هو وطني الآخر،
الأول،
لا، ذلك الذي أفخر به،
بل الذي أُعانيه.

LA JOIE DE AIMER

لا تُحبِّيني
لتستنفدي قَدرَكِ.

لا تُحبِّيني
باليقين بإقامة مأساة مُعاصرة.

اضحكي بوضوح، يا حبيبتي.
اضحكي في كل هذه المرحلة للجوار الجميل.
اضحكي، اضحكي،
حتى منِّي.

ما ينقص

«... الشخص الآخر، كشخص، تحوَّل إلى ضرورة بالنسبة له ...»

ماركس

«الكلاسيكيات مُثيرة للاهتمام»:
هرطقة لي بالأمس، عند الخروج من **روميو وجولييت**.

اليوم زادت حصة الطماطم للسلَطة،
وظهرت ثمرات بنجر هائلة.

الخُبز يفيضُ عن الحاجة، البيض يكفي، الأرز والفاصوليا
يُسأَمان مِثل إعتام العين.

الندرة تُعطي القليل من الجوع الذهني،
والكثير من الجوع الآخر، قال ذلك فلوريس البدين أمس.

لكن مع سمكة القدِّ وقِطعتَي بُفتيك،
نعبر الأسبوع.
ما ينقصُ حقًّا في كوبا،
هو أنت.

كوين

حين طلع الفجرُ وقفزتِ من الفراش صوب الشمس،
تحدثتِ في الواقع عن حدودِ بودلير،

لأن الشعر ليس المُعجزة الوحيدة
التي سمحوا لي بها،
بل وهبوني إيَّاها أيضًا مِن أجلكِ.

حرب

نزاعي الحقيقي
الهندوراسي-السلفادوري،
كان مع فتاة.

رؤيتكِ عاريةً

إلى ماريا دل كارمن

أسماك الخيال الصغيرة،
قِطَع كاراميل تاهت
على السُّلَّم إلى السماء،
لآلئ شعثاء،
جدَّاتٌ مواربات،
خيارُ الفجرِ المُملَّح،
معرفة مُتحوِّلة.
مِن أين يجِب أن أخترقك،
يا تشكيلةً من الأعشاب والأشياء
المُنظمة بذريعة
اسم امرأة
طريقةٍ لتوضيح
الفتاة التي حلمتُ بها دومًا؟

إبيجرام

نحن الحبيبان الأقل لانهائية والأقل عَدَنيةً،
اللذان يُمكن العثور عليهما خلال سنوات التاريخ الثلاثين الأخيرة هذه.

من وجهة النظر العضلية،
صنَعْنا بالكاد أكثر قليلًا من كلبَين.

ومِن الزاوية الثقافية،
لم نوقِظ سوى أوجه حسدٍ قليلة.
لكن هذا الحُب أعادنا إلى العالم ونحن أفضل
وفيما بينَنا، لا نُنسَى.

والآن سنجعل شخصًا يبتسم،
أو يتذوَّق نتفةً من الحزن العذب،
مُتحدِّثين عن حُبنا في هذه القصيدة.

كتاب بغيض بعضَ الشيء

١٩٧٠–١٩٧٢م
هافانا

لا، لم أكن دومًا بهذا القُبح

ما حدث أنَّ لديَّ كسرًا في الأنف
سبَّبه لي ليثانو الكوستاريكي بقالبِ طوب،
لأنني كنتُ أقول إنها ضربة جزاءٍ واضحة،
ويقول هو لا لا لا.
لن أعاود أبدًا طوال حياتي إدارة ظهري للاعب كرة قدمٍ كوستاريكي.
كاد الأب آنشايراندیو يموت من الخوف؛
ففي النهاية كان هناك مِن الدم أكثر ممَّا في مذبحه الأزتيكي.
وبعدها كان كيكي سولير من أَصابَني في عيني اليُمنى
بأدقِّ ضربةٍ طوبةٍ يُمكن تخيُّلها.
واضح أن الأمر كان يتعلق بإعادة تمثيل الاستيلاء على أوكيناوا.
لكن أصابني انفصال شبكية؛
شهر من عدَم الحركة المُطلق (في سنِّ الحادية عشرة!)
زيارة للدكتور كيبيدو في جواتيمالا والدكتور
بيدفورد الذي كان يستخدِم باروكة شعرٍ ملونة.
لهذا السبب أحوَلُّ أحيانًا،

وعند الخروج من السينما أبدو مُدمنًا مؤرَّقًا.
السببُ الآخر كانت ضربةً بزجاجةِ روم،
صوَّبها إليَّ زوج ماريا إلينا.
في الحقيقة لم تكن لديَّ أية نيةٍ سيئة،
لكن كل زوجٍ عالَمٌ على حِدة.
وإذا فكَّرنا أنه اعتقد أنني دبلوماسي أرجنتيني،
فيجب أن نشكُر الربَّ.
المرة الأخرى في براج، لم يُعرَف أبدًا ما جرى؛
أخذ يرفسُني أربعةٌ جانِحين في زقاقٍ مُظلم،
على بُعد ناصيتَين من وزارة الدفاع،
على بُعد أربع نواصٍ مِن مكاتب الأمن.
كانت عشيَّةَ افتتاح مؤتمر الحزب؛
مما دفع البعض للقول إنه استعراضٌ ضدَّ المؤتمر.
(في المُستشفى قابلتُ مندوبَين آخرَين،
خرَجا مِن هجومَيهما،
بعظامٍ تفُوق ما كان لديهما على الإطلاق،)
واعتقد آخرُ أنها مسألة آي إيه لأدفع ثمنَ هروبي من السجن،
واعتقد آخرون أنه إظهار للعنصرية المناهضة لأمريكا اللاتينية،
والبعض أنها مجرد الرغبة العالمية في السرقة.
جاء الرفيق سوبوليف ليسألني
إذا كنتُ قد لمستُ مؤخرة سيدة في صُحبةٍ
قبل أن يحتجَّ في وزارة الداخلية
باسم الحزب السوفييتي.
وفي النهاية لم يَظهر أيُّ أثر،
ويجب أن نشكر الربَّ من جديد،
لأنني ظللتُ مَجنيًّا عليه حتى النهاية،
في تحقيق في أرض كافكا.
على أية حال (ومِن أجل ما يُهمني التأكيد عليه هنا،)

كانت النتائج:
كسرًا مضاعفًا في الفكِّ الأسفل،
وارتجاجًا خطيرًا في المخِّ،
شهرًا ونصفًا في المستشفى،
وشهرَين آخرَين أبتلِعُ مسالًا حتى البُفتيك،
وكانت المرة الأخيرة في كوبا،
بينما أهبط سُلَّمًا تحت المطر،
وبين يدي رشاش م-٥٢.
وفي إحدى اللحظات ظهر ثورٌ لا أدري من أين.
تكعبلَتْ سيقاني في العُشب وبدأتُ أسقط.
لم يعبأ الثورُ، ولأنه قويٌّ جدًّا
لم يشأ أن يعودَ ليلضُمَني،
لكن ذلك لم يكن ضروريًّا على أية حال، لأنني،
كما كنتُ أحكي، سقطتُ فوق الرشاش
الذي لم يَصنع سوى أن ارتدَّ مِثل ثورةٍ في إفريقيا،
ومَزَّق إلى ثلاثٍ مِزَقٍ قوسَ وجنتِي
(البالِغ الأهمية للحلِّ الجمالي للخدَّين.)
هذا يشرح مُشكلتي جزئيًّا على الأقل.

قصائد سرية

«بيلما فلورس»: كلها قصائد حُب

حول أخلاقيَّاتنا الشعرية

لا تُخطئوا، نحن شعراء نكتُب
انطلاقًا مِن السرِّية التي نحيا فيها.

لسنا، إذن، مجهولي الاسم مُرتاحِين وناجِين من العقاب:
نحن ضد العدوِّ وجهًا لوجه،
ونمتطي خيولَنا قريبًا جدًّا منه، على نفس المضمار.

والنظام والرجال
الذين نُهاجمهم انطلاقًا من شعرنا،
نمنحهم بحياتنا فرصةَ الاقتصاص منَّا، يومًا بعد يوم.

Poeticus Eficacciae

يُمكنكم أن تحكموا
على النوعية الأخلاقية لنظامٍ سياسي،
لمؤسَّسةٍ سياسية،
لرجلٍ سياسي،
من درجة الخطورة التي يَعزونها،

لحقيقة كونِهم مُراقَبين
بعيونِ شاعرٍ ساخِر.

حول فائض القيمة أو صاحب العمل يسرق اثنَين في كلِّ عامل

الأعمال المنزلية للمرأة،
تخلق للرجل الوقت
للعمل الضروري اجتماعيًّا،
الذي لا يتلقَّى أجرَه عليه كاملًا؛
(فالجزء الأكبر من قيمتِه
يسرقه منه الرأسمالي)،
بل فقط ما يكفي
ليحيا ويستطيع
مواصلة العمل،
أجرًا به
يعود الرجل إلى المنزل،
ويقول للمرأة
حسنًا انظُري ماذا تفعلِين،
كي يكفي
في مُهمَّة تغطية كل نفقات
الأعمال المنزلية.

ثالث قصيدة حُب

لمن يقولون لك إنَّ حُبَّنا استثنائي،
لأنه وُلِد مِن ظروفٍ استثنائية،
قُل لهم إنَّنا نُناضل بالضبط،
حتى يبلغ حُبٌّ مثل حُبِّنا
(حُب بين رفاق معركة)

حدَّ أن يُصبح في السلفادور
الحبَّ الأشدَّ شيوعًا وعاديةً،
الوحيد تقريبًا.

من أجل حُبٍّ أفضل

«الجنس مقولة سياسية.»

كيت ميللز

لا أحد يُجادل في أن الجنس
مقولة في عالم الحبيبَين:
مِن هنا الرقَّة وفروعها المتوحِّشة.

لا أحد يُجادل في أن الجنس
مقولة عائلية:
من هنا الأبناء،
والليالي المشتركة،
والأيام المنقسمة
(هو باحثًا عن الخبز في الشارع،
في المكاتب، أو في المصانع؛
وهي في مؤخرة الأعمال المنزلية،
في استراتيجية وتكتيك المطبخ
اللذَين قد يُتيحان البقاء في المعركة المشتركة،
ولو حتى لآخِر الشهر.)

لا أحد يُجادل في أن الجنس
مقولة اقتصادية:
يكفي ذِكر الدعارة،
والموضات،
وأقسام الصُّحف مِن أجلها فقط،
أو مِن أجلِه فقط.

أمَّا المشكلات فتبدأ
فورَ أن تقول امرأةٌ
إن الجنس مقولة سياسية.

لأنه عندما تقول امرأة
إن الجنس مقولة سياسية،
يمكن أن تكفَّ عن كونها امرأةً في ذاتها،
لتتحوَّل إلى امرأة لذاتها،
لتؤسس المرأة كامرأةٍ
انطلاقًا من إنسانيتها،
وليس من جِنسها،
لتعرِف أن مُزيل العرَق السحري بطعم الليمون
والصابون، الذي يُدغدغ جلدَها بشبقيَّة،
تصنعهما نفس الشركة التي تصنع النابالم،
لتعرف أن الأعمال الخاصة بالمنزل،
هي الأعمال الخاصة بالطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها ذلك المنزل،
أن اختلاف الجنسَين
يلتمِع أفضل بكثيرٍ في ليلِ الحُب العميق،
حين تُعرَفُ كل تلك الأسرار
التي أبقَوها محجوبةً وغريبةً عنَّا.

«تيموتيو لوي»: قصائد بسيطة

فن الشعر ١٩٧٤م

أيُّها الشعر،
اعذرني لأنني ساعدتُك على فهم
أنك لست مصنوعًا مِن كلماتٍ فحسب.

مثلك

أنا، مثلك،
أحبُّ الحبَّ، والحياة، والبهجة العذبة
للأشياء، للمنظر الخلوي
السماوي لأيامِ يناير.

كذلك يَغلي دمِي،
وأضحكُ بعينَين
عرفتا انهمار الدموع.

أعتقد أن العالم بديع،
أن الشِّعر مِثل الخبز، للجميع.

وأن عروقي لا تنتهي داخلي،
بل في الدم الإجماعي
لِمن يُناضلون من أجل الحياة،
والحب،
والأشياء،
والمنظر الخلوي والخُبز،
والشعر للجميع.

«خورخي كروث»: قصائد من أجل إنقاذ المسيح

برج مراقبة

الدِّين الذي يقولُ لكَ إنك يجِب أن تنظُر إلى أعلى فحسْب،
وإن كلَّ ما في الحياة الأرضية وضاعة وبؤس،
لا يجب النَّظَر إليه باهتمام،
هو أفضلُ ضمانٍ لأنْ تتعثَّر في كلِّ خطوة،
وتُحطِّم أسنانك وروحك
على الصخور الأرضية الصارمة.

عقيدة التشي

التشي يسوع المسيح،
أخذه سجينًا
بعد إنهاء مَوعظته على الجبل
(على خلفية قعقعة الرشاشات.)
جنود الرينجرز البوليفيون واليهود
بقيادة رؤساء يانكي-رومان.

أدانَه الكتبَةُ والفريسيون المُراجعون،
الذين كان الناطق باسمِهم كايفاس مونخي،
بينما حاول بونثيو بارِّيينتوس أن يغسل يدَيه،
مُتحدثًا بإنجليزيةٍ عسكرية،
وراء ظهر الشعب الذي كان يَمضغُ أوراق الكوكا،
دون حتى أن يكون لدَيه بديل باراباس.
(كان يهوذا الإسخريوطي مِمَّن فرُّوا مِن مُحاربي العصابات،
وأرشدوا الرينجرز إلى الطريق.)

ثم وضعوا للمسيح جيفارا
تاجًا مِن الشوك وقميصَ مجانين،
وعلَّقوا في رقبته لافتةً على سبيل السخرية.
INRI: Instigador Natural de la Rebelión de los Infelices.[١]

بعدَها جعلوه يحمِل صليبَه فوق ربوِه،
وصلبوه برخاتٍ من مدفع إم-٢،
وقطعوا رأسَه ويدَيه،
وحرقوا كل ما تبقَّى، حتى
يختفي الرماد مع الريح.

[١] مُحرض طبيعي لتمرُّد التعساء. بنفس حروف اللوحة التي كانت على صليب المسيح.

ونظرًا لذلك لم يبقَ أمام التشي من طريقٍ
سوى أن يُبعَث
ويظلَّ على يسار البشَر
مُطالبًا إيَّاهم بأن يُسرعوا الخُطى
عبر قرون القرون.
آمين.

تنويعات على عبارة للمسيح

«أعطِ ما لله لله وما لقيصر لقيصر.»

I

أعطِ ما لله لله،
وللحكومة الفاشية للرئيس مُولينا،
ما للحكومة الفاشية للرئيس مولينا.
أنا لا أحاول أن أعرف، منذ صغري
كلَّ ما لله،

لكنَّني واثِق مما يجِب أن نُعطيه
للحكومة الفاشية للرئيس مولينا.

II

أعطِ ما لله لله،
ولحكومة الأغنياء
ما لحكومة الأغنياء.
لكن،
ماذا يجِب أن نُعطي لحكومة الأغنياء
إذا كان الأغنياء بمساعدة حُكومتهم قد انتهوا
بأن نزَعوا منَّا كل شيء؟

«خوان ثاباتا»: قصص وقصائد ضد نزعة المراجعة السلفادورية

طرقٌ للموت

القومندان إرنستو تشي جيفارا،
الذي يدعوه المُسالمون
«المغامر العظيم للنضال المسلَّح»
مضى وطبَّق مَفاهيمه الثورية
على بوليفيا.
وفي الاختبار ضاعت حياته وحياة حفنةٍ من الأبطال.

المُسالِمون العظام دُعاة الطريق المُتعقِّلة،
جربوا هم أيضًا مفاهيمهم الخاصة في تشيلي:
والموتى يتجاوزون الثلاثين ألفًا.

فليُفكِّر القارئُ فيما قد يقوله لنا،
لو استطاعوا أن يُحدِّثونا عن خِبرتهم،
الموتى باسم كلِّ مفهوم.

موعظة عن الأداة

حين يرى قاطع الأحجار
أن مِعوله ينكسِر،
قبل أن يبدأ عملَه اليومي،
يُفكِّر أن يمتلك أداةً أقوى وأفضل،
ولا يتهم الحجَر بأنه يَساري متطرف،
بسبب شكل وجوده المُقاوم والعنيد.

نصيحةٌ لم تعُد ضروريةً في أي مكانٍ من العالَم سوى في السلفادور

لا تنسَ أبدًا
أن الأقل فاشيةً

بين الفاشيين،
هم أيضًا
فاشيُّون.

منطقٌ مراجِع

«نقد الاتحاد السوفيتي
لا يُمكن أن يقوم به سوى مناهض للسوفييت.

نقد الصين
لا يمكن أن يقوم به سوى مناهض للصين.

نقد الحزب الشيوعي السلفادوري
لا يُمكن أن يقوم به سوى عميل للسي آي إيه.

النقد الذاتي يُعادلُ الانتحار.»

«لويس لونا»: قصائد لِنَحيا نُفكر في الأمر جيدًا

حول العلوم التطبيقية الحديثة

الإيكولوجيا هي الصدى
الذي يُحدِثه الهدير
الذي تُدمِّر به الرأسمالية العالم.

لذا، وبصرف النظر عمَّا قد تقوله الجامعة،
فإن الإيكولوجيا، أكثر مِن كونها علمًا،
هي حجاب رزين، دهان تشحيم،
وفي أفضل الأحوال،
قرص أسبيرين علمي-تقني.

عن قِيمتها وفعاليتها يُمكن القول
إنه طالما يُنتِج التدمير الرأسمالي

أرباحًا لسادة العالَم،
ويظلُّ أهمَّ مِن الحفاظ على البيئة،
فإن الفرصة الوحيدة أمام الإيكولوجيا
لتُصبح مهمَّةً،
هي أن تظلَّ تجارة.

المدارس الجديدة

في اليونان القديمة،
كان أرسطو يُعلم تلاميذه الفلسفة،
وهم يتمشَّون في فناءٍ ضخم.
لذا سُميت مدرسته «مدرسة المشَّائين.»

ونحن الشعراء المُقاتلون
مشَّاءون أكثرَ مِن مشَّائي أرسطو أولئك،
لأننا نتعلم الفلسفة والشِّعر مِن الشعب،
ونحن نتجوَّل
في مُدن وجبال بلدِنا.

اليقين

(على أساس فكرة لـ ب. خ.)

بعد أربع ساعاتٍ من التعذيب، ألقى الزعيم والتابِعان دلوًا من الماء فوق المُتهم كي يُفيق، وقالوا له: «أمر الكولونيل بأن نُخبرك أنه سيمنحك فرصةً لإنقاذ حياتك. سنكفُّ عن تعذيبك إذا حَزرتَ مَن منَّا له عين زجاجية.» وبعد أن جال المُتهم ببصرِه على وجوه جلَّاديه، أشار إلى أحدهم: «هذا. عينُه اليُمنى من زجاج.»

قال التابِعان المبهوتان: «لقد نجوت! لكن كيف استطعتَ أن تحزر؟ لقد أخفق كل زملائك، لأنَّ العين أمريكية، أي كاملة.» «الأمر بسيط جدًّا — قال المُتهم، وهو يُحسُّ بالإغماء ينتابُه من جديد — إنها العين الوحيدة التي لم تنظر إليَّ بكراهية.»

وبالطبع، واصلوا تعذيبَه.

هتلر ماتسيني: مقارنة بين تشيلي عام ١٩٧٤م والسلفادور عام ١٩٣٢م

«لا يُدهِشني أَن يَفتَروا
على العصبة العسكرية المُبجلة في تشيلي.
فهكذا هم الشيوعيُّون.»

يقولون إنه خلال نحو أربعة أشهُر
قَتل العسكريون
أكثرَ مِن ثمانين ألف تشيلي.

وهذه مبالغةٌ؛
فالدلائل المادية
تقول إن الموتى لا يتجاوزون
نحو الأربعين ألفًا.

هكذا كان الأمر بالنسبة للسلفادور عام ١٩٣٢.
يقول الشيوعيُّون إن الجنرال مارتينث
قتل في أقلَّ مِن شهرٍ
أكثر مِن ثلاثين ألف جواناكو.[٢]
وهذه مبالغة:
فالمَوتى المؤكَّدون لا يتجاوزون العشرين ألفًا.

أما الباقون،
فاعتُبِروا مفقودين.

في المستقبل

حين يُصبحُ مجتمعُنا عادلًا بصورة أساسية،
أو بالأحرى،

[٢] guanaco: الجواناكو في اللهجة المحلية تَعني الفلاح الجلف.

اشتراكيًّا،
في أحاديث الحانات،
لحظة الاعترافات الحميمة؛
سيقول أكثر مِن واحدٍ بنظرة منكسة:
«كانت عندي ملكية خاصة لوسائل الإنتاج.»
مثلما نقول اليوم
«كان عندي زُهري.»
«كانت عندي ميول جنسية منحرفة.»

هنـــداوي